المضامين الروحية والخلقية للعبادات عند الغزالي "الصلاة نموذجاً"

د. مديحة حمدي عبد العال مرسي
مدرس الفلسفة الإسلامية والتصوف
كلية الآداب – جامعة الفيوم

مقدمة:

إذا كانت القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الإنسان، وبها يتحقق سموه ورفعته، فإنه بسببها يرقى المجتمع ككل. ومما لاشك فيه أن الإنسان قد خلقه الله في أحسن تقويم وكرمه وفضله على كثير من خلقه، لقوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)(١). وأفضل تكريم للإنسان أن اختصه الحق بعبادته ومعرفته. تلك المهمة التي اهتم الصوفية بإبرازها – على الوجه

الصحيح- من خلال إبراز المضامين الروحية والخلقية التي تتجلى بها عبر ظاهر الإنسان وباطنه. ولعل الغزالي -على وجه التحديد- قد أبرز أهمية الجانب الروحي في الإنسان بحسبانه يمثل حجر الزاوية في علاقته بالله. الأمر الذي يتجلى من خلال قيام الإنسان بما كُلِفَ به من عبادات شرعية تحقق غايته من الوجود. ولانزاع في أن الصلاة تكمن فيها كل معاني العبودية التي تفرقت في جميع فروض الإسلام وأركانه، كما تحوى بأركانها تكريماً للإنسان وتشريفاً، ولهذا كانت بالروح والجسد، بالظاهر والباطن، ومن هنا تكمن أهميتها لديه. الأمر الذي جعل الغزالي ينظر إلى أن جوهر الإنسان بما هو إنسان لا يتحقق إلا من خلالها. كما أن المعرفة والسعادة التي يتحقق بها العبد لا تتسنى إلا عقبها.

وتسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية: إلى أي مدى ترتبط المضامين الروحية للصلاة بالأخلاق في تصور الغزالي؟ وهل كانت العلاقة طردية بين المعرفة والصلاة في تصور الغزالي أم لا؟ أي أنها تزيد وتنقص بمدى تحقق العبد بالمضمون الروحي والخلقي الذي يتجلى به الحق على ظاهر العبد وباطنه؟ وكيف كان تحليله الروحي والخلقي لكل ركن من أركان الصلاة؟ وكيف حلل لنا انعكاس تلك القيم الروحية والخلقية على المجتمع كله؟ وكيف ناقش قضية ارتباطها بالجزاء الأخروي؟ وهل كان هناك ارتباط في تصور حجة الإسلام بين صلاة الملائكة وبين صلاة البشر؟

وتنقسم هذه الدراسة إلى الأقسام التالية:

مقدمة.

أولاً: أهمية العبادات وغايتها في الإسلام.

ثانياً: ارتباط المضامين الروحية للصلاة بالأخلاق في تصور الغزالي.

أ- المضامين الروحية والخلقية لركن الطهارة عند الغزالي.

ب- المضامين الروحية والخلقية لركن الاستقبال عند الغزالي.

ج- المضامين الروحية والخلقية لركن التكبير عند الغزالي.

د- المضامين الروحية والخلقية لركن دعاء الاستفتاح عند الغزالي.

هـ- المضامين الروحية والخلقية لركن قراءة القرآن عند الغزالي.

و- المضامين الروحية والخلقية لركني الركوع والسجود عند الغزالي.

ز- المضامين الروحية والخلقية للتشهد عند الغزالي.

خاتمة الدراسة.

***

أولاً: أهمية العبادات وغايتها في الإسلام:

لاشك أن العبادات في الإسلام إنما جاءت لتنظيم وتقويم السلوك الأخلاقي للإنسان مع نفسه ومع غيره، ولا يتسنى ذلك إلا بطاعة الله عز وجل. ولهذا كان الفقه الإسلامي إتباعا وليس ابتداعاً، فهو محاولة جادة للكشف عن الآثار النبوية والتزامها، وليس اختراعاً يؤلفه البشر. ولهذا جاءت التكاليف الدينية للتقرب إلى الله ولإصلاح الضمير البشرى. فالدين ما نزل إلا ليقود الإنسان نحو الكمال الخلقي الروحي، والإنسان إنسان بالجانب الروحي منه، وكلما سمى الإنسان روحياً كلما كان أسمى فى معنى الإنسانية. فدين الله - الذي يتطلب الاعتقاد أو المعرفة بالله- لا يكون إلا بالعبادة الخالصة لله بالظاهر والباطن. وجل العبادات في دين الإسلام تتضافر لتوكيد معنى الوحدانية لله من خلال الامتثال والإذعان لأمره تعالى والانتهاء عن نواهيه، وتلك هي الغاية التي خُلق لها الإنسان، والتي

تتمثل في قوله سبحانه: (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ)[٢].

إن العبادة الخالصة لله بالظاهر والباطن هي المطلوبة من الإنسان لتحقيق معنى الإنسانية المنوط بها تشريفه، حيث إن الحق سبحانه لا يريد قوالب تخضع وإنما يريد قلوباً تخشع. بل إن كل ما يفعله الإنسان من عبادات بالأعمال الظاهرة لا تحقق المقصود منها بدون أعمال القلوب. ولهذا كانت العبودية الخالصة لله تتطلب أن يخضع العبد لربه بحركاته وسكناته في صلاته ونسكه ومحياه ومماته، ومن ثم يسلم نفسه للحق سبحانه بالظاهر والباطن، وهذا ما يحقق معنى قوله سبحانه: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ)[٣]. وبذلك يتحقق الالتزام والخضوع والإنابة ودوام الافتقار إلى الله سبحانه من جميع الوجوه، أي بالروح والقلب واللسان والجوارح. فلا يتصرف العبد في شيء إلا بأمر سيده، ولا يملك لنفسه موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فإن صح له شهود ذلك فقد قال إني عبد لله حقيقة[٤].

ولما كانت الصلاة من أهم العبادات فقد كرر القرآن الكريم ذكرها كثيراً، كما تكرر الحث على فوائدها العظيمة وأركانها الجليلة، وذلك لما لها من فضل كريم وجزاء وفير في الدنيا والآخرة. فهي التي تظهر فيها حقيقة العبادات على اختلاف صورها، وذلك يظهر في قوله سبحانه: (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)[٥]. وكذلك قوله عز وجل: (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)[٦]. فالأصل في كل العبادات هو التحقق بكمال العبودية لله، ففي الصلاة يظهر الصوم بخشوع الأبدان بالضعف والاستكانة والخضوع لله، وبالبعد عن كل المحرمات والصبر على الطاعات. وفى الصلاة يظهر الحج بالدعاء والتوبة والأوبة إلى الله والذكر والتوجه للقبلة. وتظهر الزكاة بالشكر على كل

نعمة أنعم الحق بها على عباده. كما تظهر شهادة الإخلاص والتوحيد لله والتي يجب على العبد أن يتحقق بها في كل مناحي الحياة.

فالصلاة في معظم عبارات الفقهاء عبادة مخصوصة تطلق على هذه الأحكام المعتادة، وهى أمر من الحق تعالى لعباده أن يقيموها[٧]، فهي كتابٌ موقوت لا يتركه المؤمن من يده أبداً، لقوله سبحانه: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً)[٨]. ولهذا فهي تكفر الذنوب إذا قام العبد بأدائها على الكمال أي عبر ظاهره وباطنه، مما يجعلها - في حد ذاتها- تعد السعادة القصوى التي يجب أن يتوق الإنسان إليها. فهي الميثاق والعهد الذي يتجدد بين العبد وربه خمس مرات في اليوم، ولهذا لم يقترن بها كلمة (يؤدي)، وإنما كان يقترن بها كلمة (القيام، يقيمون، أقام)، والذي ورد في قوله سبحانه: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)[٩]، (وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ)[١٠]، (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً)[١١]، والقيام هو تحقق الإنسان بها بالظاهر والباطن.

فالمعنى الظاهر: يكون بمعرفة أركانها الظاهرة وحدودها ووقت القيام بها، ذلك الوقت المحدد الذي لا يجوز أن يتجاوزه الإنسان. وهذا التحديد بالوقت باق حسب أصول الشريعة الإسلامية، ببقاء الإنسان لا يسقط في أي سن ولا يسقط مهما وصل الإنسان من الدرجات الروحية، بل إن الدرجات الروحية تبعث الإنسان في صورة أقوى على المحافظة على الصلاة[١٢]. أما المعنى الباطن: فيكون بإقامتها على الوجه الذي يحبه الله ورسوله، أي بإقامتها بحضور الجوارح وخشوع القلب وبتذكر مكانتها من الدين، فهي عماد الدين. وذلك يتأتى بالطهور والتوجه لله بتكبيرة الإحرام، مع مراعاة أن العبد يقوم بها لله وحده، ثم بإحسان

الركوع والسجود بين يدي الله، وذلك بركوع القلب وسجوده، أي بإسلام القلب والروح والنفس والجوارح لله رب العالمين.

والصلاة بهذا المعنى تنفى عن الإنسان صفة السهو فيها بأي وجه من الوجوه، بل وتحقق معنى الخشوع الذي به يتحقق التعقل والانتباه، حيث إنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها. ولهذا كانت صلاة الخاشعين هي الصلاة التي تتهافت معها الذنوب كما يتهافت ورق الشجر في الشتاء، والصلاة التي بهذا المعنى هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، ومن أجل ذلك تُدخل صاحبها الجنة، ولذلك ذكر الحق فيها: **(وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ)**(١٣).

وإذا كان للإنسان ظاهر وباطن، وإذا كان مقياس تحققه بإنسانيته يتحدد بقدر تحققه بما تنعكس به أعمال القلوب على الجوارح؛ فإن العبادات ومنها الصلاة قد جاءت لتأكيد هذا المعنى، أي أنه بقدر تحقق العبد بالمضمون الروحي والخلقي من كل عبادة –بالظاهر والباطن– فإنه يتحقق بإنسانيته المنوط بها تشريفه. وهذا المعنى هو ما أيقنه صوفية الإسلام بصفة خاصة؛ حيث كانت العبادة الحقيقية لله تعالى – في رأيهم– إنما هي ما تستقيم به قولاً وفعلاً ونية، بالظاهر والباطن مع عقيدة الإسلام وعباداته. وما لم تكن العبادة على هذا النحو بالذات، فإنها تصبح حقاً صورة لا روح فيها، أو هيكلاً فارغاً من المضمون(١٤). فالصوفية قد تحققوا بما ورد في الشرع وبما قام بتفصيله الفقهاء. وإذا كان عمل الفقهاء يركز على المعنى الظاهر من الصلاة – من حيث أحكامها وشرائطها الظاهرة– فإن الصوفية قد أفاضوا في الحديث عن معناها الباطن – من حيث مضامينها وأسرارها الروحية والخلقية– إيماناً منهم بأن الصلاة هي التي تربط العبد بربه وتقوده إلى رضوانه في الدنيا وإلى نعيم جناته في الآخرة. فقد أدركوا أنها تمهد

الطريق ليتجه الإنسان فيها إلا ربه بالكلية. ومن ثم يجب التحقق بما تحويه من مضامين روحية وباطنية إلى جانب إقامتها بحدودها وشرائطها الظاهرة، ليتحققوا بالمعنى الذي أوضحته الآية الكريمة: (وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ)[١٥].

وإذا كان الأمر كذلك عند الصوفية فإن الصوفي الصادق-في رأيهم- هو الذي اتخذ من الشريعة أساساً ورائداً له، إيماناً منه بأن التكاليف الدينية تتكاتف للوصول بالمسلم إلى درجة المقربين، أي التوحيد لله بالظاهر والباطن. وهذا ما أيقنه أبو يزيد البسطامي حينما أكد على هذه القاعدة بقوله: لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة. وذلك ما أقرّ به الإمام الجنيد- أيضاً- عندما قال: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة[١٦]. تأكيداً منهم على أنه من عرف الله تعالى بالربوبية قام له بأشراط العبودية، ومن عرف الله بالجزاء أوقع نفسه في العناء؛ ومن عرف الله بالكفاية اكتفى به عن كل ما سواه[١٧]. ولهذا نجد الغزالي يُقيم آراءه في التصوف على نفس هذه القواعد الجليلة، إيماناً منه بأن الصوفي الحقيقي هو الذي لا يترك ميزان الشرع من يده أبداً، ولهذا كانت سيرته أفضل السير وطريقه أصوب الطرق وأخلاقه أزكى الأخلاق، فالصوفية جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من مشكاة نور النبوة[١٨]. وذلك دلالة على أهمية سعى الصوفي إلى تحقيق المضمون الحقيقي من العبادات ومنها الصلاة موضوع الدراسة التي نحن بصددها. فقد كانت الصلاة عند الغزالي – على وجه التحديد- تعد من أهم التكاليف الشرعية التي أمرنا الحق بالقيام بها حفاظاً على العهد والصلة التي تربط الإنسان بربه. فإن كانت جميع العبادات على اختلاف صورها معنية بإخراج المسلم من

الظلمات إلى النور، ومن المعصية إلى الطاعة؛ فإن الصلاة على وجه الخصوص- تحوى بداخلها جميع المعاني والمضامين الروحية والخلقية التي تهدف إليها كل العبادات على اختلاف صورها.

ثانياً: ارتباط المضامين الروحية للصلاة بالأخلاق في تصور الغزالي:

لاشك أن الغزالي قد اهتم بتحليل المضامين الروحية للصلاة تحقيقاً لصلب الدين من خلال إرسائه لقواعد الحقيقة على أصول الشريعة. وذلك إيماناً منه بأن الحقيقة هي فقه الباطن، والشريعة هي فقه الظاهر. فلا اختلاف بينهما ولا تكتمل العبادة - في رأيه- إلا بالتزام العبد بالشروط الظاهرة، أما الأساس فهو الباطن. فالعبادات على اختلاف صورها قلبية أولاً قبل عمل الجوارح، فلا تثمر العبادة الغاية المرجوة منها من طمأنينة وسكينة إلا باستحضار القلوب.

فالصلاة -عند الغزالي- هي قربة القربات، وأول العبادات، والطاعة التي باستكمال شرائطها الظاهرة والباطنة تستقيم كافة العبادات. ولهذا كان "عمل البدن عنوان إيمان القلب"(١٩). وليس العكس، فقد كان عمل الجوارح يستتبع عمل القلب، فلا تكفى أوضاعها الظاهرة بل يلزم تحقق الإنسان بها في قلبه وكيانه كله. فإذا انصرف العبد إلى الحق وخشع قلبه في الصلاة؛ فإن ذلك يمنعه عن الالتفات لغيره بالظاهر والباطن في غير أوقات الصلاة، وبهذا تصير جميع حركات العبد وسكناته عبادة قلبية. فالقلب - عند الغزالي- هو الأداة الرئيسية في تحرك العبد نحو الفعل، لأنه الباطن بالنسبة للجسد الظاهر، ومن ثم فالجسد هو: القشر بالإضافة إلى اللب، وكالصورة بالإضافة إلى القلب والروح، وكالسفل بالإضافة إلى العلو(٢٠).

ومن ثم كان المقصود الحقيقي من الصلاة عند الغزالي إنما هو تأثر القلب

وخضوعه ومثوله بين يدي الحق سبحانه. فالخشوع -عند الغزالي- هو حجر الأساس في الصلاة وقبولها، فمن لم يخشع قلبه ردت صلاته، على حد قوله. ولذلك كان الناس – في رأيه – متفاوتين في درجات الكمال الروحي والخلقي بقدر تفاوت هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة، "فالصلاة محل الخضوع ومعدن التواضع والخشوع وهذا علامة القبول فإن للجواز شرط وللقبول شرط فشرط الجواز أداء فرضها وشرط القبول الخشوع"(٢١).

وقد فصّل الغزالي القول في وصفه للثمار التي يتحقق بها الخاشعون في الصلاة، مستشهداً بالآية الكريمة: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)(٢٢). فالخاشع المحافظ على الصلاة هو الذي تمكن من زمام نفسه، فخلّصها من الشهوات والآفات، فأصبح عبداً خالصاً لوجه الله الكريم. وذلك لأن مصب الهداية -القلب- لديه طاهر نقي فيستقبل الوارد من الحق بسهولة ويسر، فعلى حسب الطهارة والنقاء يترقى العبد في مراتب المعرفة بالله، "فمن اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى، واشتغل بالرياضة، والمجاهدة، انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه"(٢٣). فالخشوع اللازم في الصلاة ثمرة الإيمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل، ومن رزق ذلك فإنه يكون خاشعاً في الصلاة وفى غير الصلاة، ومن هذا تتولد المعارف والمكاشفات؛ "فأسرار الملكوت محجوبة عن القلوب الدنسة بحب الدنيا، التي استغرق أكثر همها طلب العاجلة"(٢٤).

والمتحققون بالكشف والمعرفة المترتب على الصلاة – على حد قول الغزالي- هم أولياء الله عز وجل، "فأولياء الله المكاشفون بملكوت السماوات

والأرض وأسرار الربوبية إنما يكاشفون في الصلاة لاسيما في السجود، إذ يتقرب العبد من ربه ﷻ بالسجود... وإنما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا"(٢٥). وهنا استدل الغزالي بالحديث: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإن أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها، وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه"(٢٦).

ونستنتج من ذلك أن الغزالي قد ربط بين تحقق العبد بالخشوع واستحضار القلب في الأركان وبين التحقق بالمضمون الخلقي والروحي من الصلاة، ومن ثم يتسنى ترقيه في مراتب المعرفة بالله، وبالتالي يزيد الترقي في مراتب السعادة الأخروية. ومن هنا كان التفاوت في الفضل وفى مراتب المعرفة يتفاوت على قدر استحضار القلب وخضوعه لله في كل عبادة وكل حركة من حركات الحياة وسكناتها؛ "فتتفاوت الخلق في بحار معرفة الله، وذلك لا نهاية له"(٢٧). وإذا كانت لذة العبد بالمعارف – عند الغزالي- قابلة للزيادة بزيادة تحقق العبد بالمضمون الروحي والخلقي للصلاة، فإنها أيضاً لا تنقطع في الدنيا والآخرة، "ثم أنها لذة لا نهاية لها؛ لأن العلوم لانهاية لها، ولا مزاحمة فيها"(٢٨). ولهذا أكرمهم ووعدهم بالفردوس الأعلى، حيث الزيادة التي لا تنقطع والنعيم المتجدد، لأنهم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم(٢٩). ومن هنا نستنتج أن العلاقة بالفعل طردية بين المعرفة والصلاة؛ فبزيادتها تزيد وبنقصانها تنقص.

ولهذا يؤكد الغزالي على أن الأثر الحقيقي الذي تحققه الصلاة بهذه الكيفية تتعدى ثمرتها إلى المجتمع. لأن تجلى الحق سبحانه على العبد بالمعرفة والسعادة

لا يكون إلا من خلال تخلقه وتحققه بالأخلاق الإلهية، أي من خلال التحقق بصفاته وأسمائه على قدر طاقة هذا العبد. ولهذا يتفاوت صفوة العباد في مراتبها، فهي صفة لخاصة خواص الله من العباد. فانعكاس الصلاة على أخلاق العبد أيضاً ثمرة تنعكس على المجتمع المحيط به، ولهذا يتفاضل فيها الخلق على حد قول الغزالي؛ "فكمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه"(٣٠). والحياء يرتبط دوماً بالإخلاص، والإخلاص بأن يكون العبد في صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ، ويستحيى من نفسه ومن ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعاً زائداً على عادته، "بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة"(٣١).

ويشبه الغزالي فيما ذكره ما سبق وأن قاله ابن سينا- ت ٤٢٨هـ - للطالبين لسعادتهم أن يتخلصوا من العلل التي تعترض طريقهم في العودة إلى حالة الفطرة النقية الطاهرة. ولهذا كان عليهم ضرورة مراعاة قانون الشرع في العمل، حتى لا يتبع الإنسان هواه، بل يقلد الشرع، حتى تتهذب به أخلاقه. فمن جمع بين الفضيلتين العلمية والعملية، فهو العارف العبد، وهو السعيد المطلق. ومن له الفضيلة العلمية، دون العملية، فهو العالم الفاسق، الذي لطخته العوارض البدنية تلطيخاً، ولذلك ليس له سعادة كاملة(٣٢). بخلاف العالم العابد فإن له السعادة الكاملة، لأنه حافظ على الفضيلتين العلمية والعملية. فإن اشتغال النفس بالتعلم هو إزالة المرض العارض من جوهرها لتعود إلى ما علمت في أول الفطرة وحصل في بدء الطهارة(٣٣). وفى ذلك يتفق الغزالي مع ابن سينا وكذلك مع الصوفية في أن العارف الحقيقي هو الذي يلتزم الشرع، بل ويحافظ على تزكية نفسه، مما

يحقق انعكاس عبادته على أخلاقه وعمله في الحياة الدنيا. ولذلك كان أهل المعرفة بالله هم من يتقربون إلى الحق سبحانه بالبر مع مخلوقاته، ولا يتركون الشرع من أيديهم لحظة واحدة. ويؤيد ذلك قول الجنيد: إن القوم الذين يدعون المعرفة بالله ويتكلمون بإسقاط الأعمال، هو عندي عظيمة. والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى: أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة، إلا أن يحال بي دونها(٣٤).

أما من لم يصل بصلاته إلى مقام المعرفة بالله فإن الغزالي ينصحه بالاجتهاد، وأن لا يدعي- كذباً- المعرفة، فلا أقل من الاعتراف بالعجز، والذي اعتبره الغزالي واجباً على كل عاقل يجتهد في الخشوع لله في كل أركان العبادات. فيجب على كل من لا يقف على كنه هذه المعاني وحقيقتها ولم يعرف تأويلها أن يصدق بها ويقر بالعجز. ولهذا أكد الغزالي على أنه "لا ينبغي أن ينكر كل واحد ما وراء درجته،... ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقل من أن يؤمن بالغيب ويصدق به إلى أن يشاهد بالتجربة"(٣٥). بل إنه ينبغي على العبد في تلك الحالة أن يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره، وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه. وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها. وبما يسرى إليه من الخوف منه والاستكانة له(٣٦).

ولذلك كان على العبد ألا يعبد الله لأجل المثوبة والجزاء سواء في الدنيا أو في الآخرة، ولكن يعبده امتثالاً لأمره؛ لأنه المحسن الجواد الذي يستحق أن نعبده بكل إخلاص. وفى ذلك يتفاوت العباد، بل وتتفاوت منازلهم في القرب من الله، لأنه

سبحانه يعلم السر وأخفى. وهنا يستشهد الغزالي بالآية الكريمة: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)(٣٧). بل ويؤكد الغزالي وجهة نظره عندما يؤكد على أن إخلاص القلب في الصلاة بدون نظر إلى جزاء ينعكس على القلب بالخشوع وعلى الجوارح بالتسليم والرضا، ولهذا "فالمؤمنون متباينون في منازل القرب متفاوتون في درجات الطاعة،... فإن كانت الطاعة رجاء للمثوبة وخوفاً من العقوبة فذلك العبد لا يكون كامل الإخلاص، فإنه لنفسه سعى"(٣٨).

أما من تحقق بمضامين أركان الصلاة وانعكست تلك المزايا على سائر عباداته، بل وعلى سائر معاملاته مع البشر؛ فإذا اتفق خشوعه في الصلاة مع أخلاقه مع عباد الله، ترقى في مراتب الكمال والمعرفة. وتلك هي حظوظ المقربين من الله، وأهمها "استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث من الاستعظام يشوقهم إلى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليقربوا بها من الحق قرباً بالصفة لا بالمكان فيأخذوا من الاتصاف بها شبهاً من الملائكة المقربين عند الله تعالى ولن يتصور أن يمتلئ القلب باستعظام صفة واستشرافها إلا ويتبعه شوق إلى تلك الصفة وعشق لذلك الجلال والجمال وحرص على التحلي بذلك الوصف إن كان ذلك ممكناً"(٣٩). وهكذا يتضح لنا أن المصلى الخاشع يرى من عجائب الأسماء والصفات ما يخالط بقلبه بشاشة الإيمان "بحيث يرى لكل اسم وصفة موضعاً من صلاته ومحلاً منها فإنه إذا انتصب قائماً بين يدي الرب تبارك وتعالى شاهد بقلبه قيوميته وإذا قال الله أكبر شاهد كبرياءه وإذا قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله

غيرك شاهد بقلبه رباً منزهاً عن كل عيب"(٤٠).

ولهذا كانت الثمرة التي تنعكس على المجتمع من الخاشع في الصلاة، هي تحققه بأخلاق الله. ذلك لانعكاس تجليات صفات الحق على قلبه الخالي عما سوى الله، المنشغل به المستغرق فيه سبحانه؛ ومن هنا كان التحقق بالخضوع للحق في كل أركان الصلاة وفى كل أركان العبادات، محض كسب من العبد مفعماً بتثبيت من الحق. ففضله سبحانه لا ينقطع ومدده واصطفائه لا ينضب؛ ولهذا كان السعي والاجتهاد مطلوباً دائماً وأبداً "فالسعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها به يصير العبد ربانياً أي قريباً من الرب تعالى فإنه يصير رفيقاً للملأ الأعلى من الملائكة فإنهم على بساط القرب فمن ضرب إلى شبه من صفاتهم نال شيئاً من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم إلى الحق تعالى"(٤١).

فتفيض الطاعة –إذا كانت مستتبعة بالإخلاص والخشوع– على النفس المظلمة فتمحو ما فيها من صدأ، فينقشع عنها الظلام وتحل عليها تجليات الحق بأنوار المعارف. ولهذا كانت عقوبة تارك الصلاة– كما يؤكد الغزالي– عظيمة؛ حتى إن التارك لها يتساوى مع المشرك، أو من أصحاب الجحيم. وفى ذلك استشهد حجة الإسلام بالآية الكريمة: (**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ**)(٤٢)، وكذلك قوله سبحانه: (**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**)(٤٣)، ويفسر الغزالي معنى الويل في الآية الكريمة فيقول: هو شدة العذاب، وقيل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره فهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله ويندم على ما فرط(٤٤). فسماهم – الحق– بالمصلين وسمى

المؤمنين بالمقيمين الصلاة؛ وذلك ليعلم أن المصلين كثير، والمقيمين للصلوات قليل، فأهل الغفلة يعملون الأعمال على الترويج ولا يذكرون يوم تعرض على الله فتقبل أم ترد. فليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها. وفي ذلك يتفق الغزالي مع السراج الطوسي الذي أكد على أنه: من أتى بالصلاة بلا حضور القلب فهو مصلٍ لاهٍ، ومن أتاها بلا شهود العقل، فهو مصلٍ ساهٍ، ومن أتاها بلا خشوع القلب فهو مصلٍ خاطئ، ومن أتاها بلا خضوع الأركان فهو مصلٍ جافٍ، ومن أتمّها فهو مصلٍ وافٍ[٤٥]. فالذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً، يعذب في قبره بهذه الجريمة على حسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها[٤٦]. كما أنه ليس هناك مقام للعبد تسقط معه آداب الشريعة، أو يسقط فرض من غير عذر، ومن كان أصفى سراً وأعلى رتبة وأشرف مقاماً، فإنه أشد اجتهاداً وأخلص عملاً[٤٧].

ولما كانت الصلاة مرتبطة بظاهر العبد وباطنه، وكذلك مرتبطة بالجزاء في الآخرة، كان خطرها عظيماً وأمرها جسيماً. وكان لكل نبي من الأنبياء صلاة يتعبد بها، ويتقرب بها إلى ربه وكانت صلواتهم موزعة على الأوقات الخمس (الصباح، وعند الزوال، ووقت العصر، ووقت غروب الشمس، ووقت العشاء) فجمع الله لنبيه محمد ﷺ من الصلوات ما كان لجميع الأنبياء السابقين ليجمع له ولأمته ما كان للأنبياء قبلهم[٤٨]. ولهذا كان الصوفية عبر جميع العصور يهتمون بأمرها، ويجتهدون في التحقق بإتيانها على الوجه الأتم ليجمعوا فقه الظاهر والباطن. فبالصلاة أمر الله تبارك وتعالى رسوله قبل كل عمل وقبل كل فريضة، وبالصلاة أوصى النبي ﷺ عند خروجه من الدنيا[٤٩].

فقد ذكر ابن قيم الجوزية: أن "سرُّ الصلاة ولُبَّها إقبال القلب فيها على الله،

وحضوره بكلِّيته بين يديه"(٥٠). أما الغفلة فهي تحرم العبد من الترقي والسمو بالمضمون الحقيقي من الصلاة. فالصلاة تؤكد عبر كل ركن من أركانها على معنى الإسلام والإيمان والإحسان، أي معنى العبودية الخالصة للحق بالظاهر والباطن. وكما قال ابن عطاء الله السكندري: لا يحصل للعبد حقيقة الإيمان إلا بأمرين: الامتثال لأمره، والاستسلام لقهره(٥١). فأوجب الإخلاص على العباد الاستسلام لحكمه، والانقياد لأمره؛ ذلك لأنه للعبادة معنى ظاهر وباطن. فالعبادة ظاهر العبودية، والعبودية روحها، ولهذا كان حقيق على العباد لكي يتحققوا بمقام العبودية لله – والذي هو أشرف المقامات– أن يكون متحققاً بالتسليم والتفويض، ليصل إلى المقام الأكمل والمنهج الأفضل. ولهذا كان الإسلام حظ الهياكل وعدم المنازعة، والاستسلام حظ القلوب، فالإسلام كالصورة، والاستسلام هو روح تلك الصورة(٥٢). ولهذا أقر العلماء بأن: الصلاة بدون حضور القلب لا خير فيها، وأنه يجب على الإنسان أن يتدبر بالقلب واللسان معاً كلام الله الذي أنزل للناس كافة(٥٣).

وقد ذكر الغزالي أن حقيقة الإنسان هي باطنه، ومن ثم أصبح على الإنسان أن ينشغل بباطنه –أي قلبه– أكثر ما ينشغل بظاهره. ولهذا كان الحق يكشف لقلب العبد –أي باطنه– من حقائق الغيب ما لا ينكشف لسواه، وذلك لأنه يتسع للحق وتجليه، فذكر أن: "القلب الذي تعرفه بعين الباطن، وحقيقتك الباطن لأن الجسد أول وهو الآخر... وأما حقيقة القلب فليس من هذا العالم لكنه من عالم الغيب فهو في هذا العالم غريب"(٥٤). ولهذا كان الإنسان ينتمي إلي عالم الحضرة الإلهية من جانب وللعالم المحسوس من جانب آخر. ولهذا جمع بظاهره وباطنه ما تفرق في المخلوقات المادية والروحية. وقد كان القلب عند الغزالي هو الباطن الذي يختص

"بمعرفة الله ومشاهدة جمال الحضرة وصفاته، والتكليف عليه والخطاب معه، وله الثواب وعليه العقاب، والسعادة والشقاء تلحقانه، والروح الحيواني في كل شيء تبعه ومعه، ومعرفة حقيقته ومعرفة صفاته مفتاح معرفة الله سبحانه وتعالى(٥٥). فلا تتنزل الأنوار القدسية – كثمار للصلاة- إلا عليه، ومنه تنتقل إلى باقي الجسد، ومن ثم تنعكس على الكون المحيط به. وكلما كثرت الأنوار القدسية على تلك القطعة اللحمية كلما كثرت أضواؤها على الحواس الباطنة والظاهرة، "فالقلب يشاور العقل ويجعل الشهوة والغضب تحت حكمه حتى تستقر أحوال النفس ويصل إلى سبب السعادة من معرفة الحضرة الإلهية، ولو جعل العقل تحت يد الغضب والشهوة هلكت نفسه وكان قلبه شقياً في الآخرة"(٥٦). ولهذا كان العقل عند الغزالي والصوفية خادماً للقلب. فالقلب مخلوق لنظر جمال الحضرة الإلهية، ومتى كانت الشهوة مطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها، كان ذلك موافقاً لقانون الشرع وحكمه(٥٧).

ولهذا فقد وجد الغزالي أن الصلاة تحوى المضمون الحقيقي للإخلاص، ظاهراً وباطناً، روحاً وخلقاً. ومن ثم فهي الأصل في العبادات جميعها، باعتبارها تحقيقاً للعبودية الخالصة لله وحده. وذلك بأن يُدرك العبد حقيقة ما كلفة الحق سبحانه به لتستقيم أمور حياته ومعاشه، ومن ثم دنياه وأخراه. وقد ذكر الغزالي في الآداب اللازمة للصلاة أنها تتلخص فيما يلي: "خفض الجناح ولزوم الخشوع، وإظهار التذلل، وخضوع القلب، ونفى الوسواس، وترك التقلب ظاهراً وباطناً، وهدوء الجوارح، وإطراق الطرف، ووضع اليمين على الشمال، والتفكر في التلاوة، والتكبير بالهيبة، والركوع بالخضوع، والسجود بالخشوع، والتسبيح بالتعظيم، والتشهد بالمشاهدة، والتسليم بالإشفاق، والانصراف بالخوف، والسعي

بطلب الرضا"[٥٨]. وكل هذه الآداب إنما تنعكس إيجاباً على العبد في شتى مناحي حياته، فتتحقق ثمار العبادة في المعاملة مع باقي أفراد المجتمع.

وذلك مما جعل الإمام الغزالي يؤكد على أن التكليف بما فيه من اختيار واختبار إنما هو تشريف للإنسان، فالتكاليف في رأى الإمام الغزالي تكون بالروح والجسد، ولهذا تحوى العديد من المضامين الخلقية والروحية والتي لا يحظى بها سوى الإنسان، ولذلك كانت متنوعة ما بين شهادة التوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج. فالتكليف – كما يرى الغزالي- مأخوذ من الكلفة على وجه التفعيل ومعناه الحمل على ما في فعله مشقة ويندرج تحته الإيجاب والحظر، لا وفق ما يتشوف إليه الطبع أو ينبو عنه[٥٩]. ذلك لأن التكليف عند الغزالي هو التكريم والتشريف الحقيقي للإنسان بظاهره وباطنه.

ولعل هذا ما جعل الغزالي يؤكد على أن أركان الصلاة تحوى للإنسان ما تفرق في عبادة أهل السماء – الملائكة- من تشريف؛ فجعلها على الإنسان بالاختيار بخلاف الملائكة التي كانت عبادتهم بالاضطرار. ولهذا "جمع الله ذلك كله في صلاة واحدة كرامة للمؤمنين حتى يكون لهم حظ من عبادة أهل كل سماء. وزادهم القرآن يتلونه فيها فطلب منهم شكرها، وشكرها إقامتها بشرائطها وحدودها"[٦٠]. ولعل ذلك ما دعي الغزالي إلى محاولة المقارنة بين صلاة الملائكة وصلاة الخاشعين، في القيام والأداء وليس في الفضل. فالأفضلية والجزاء لا يعلمها إلا الله؛ ولكن يتميز الإنسان عن المَلك في أن الحق قد جمع للأول في أركان الصلاة ما تفرق فيما تقوم به الملائكة. فهناك ملائكة اختصها الحق بالركوع، ومنهم من اختصه بالسجود، ومنهم من اختصه بالقعود. ولهذا نظر الغزالي إلى أن الترقي في مدارج الكمال المعرفي لا يتحقق إلا للإنسان

نتيجة تكليفه وتنوع عبادته، فقد "فارق الإنسان الملائكة في الترقي من درجة إلى درجة، فإنه لا يزال يتقرب إلى الله فيستفيد مزيد قربه وباب المزيد مسدود على الملائكة عليهم السلام وليس لكل واحد إلا رتبته التي هي وقف عليه. وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل إلى غيرها ولا يفتر عنها... ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوات"(٦١).

ومن هنا يتضح لنا أنه على حسب مرتبة قرب العبد من ربه في صلاته تكون هدايته إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة. فدنو الحق من عبده يكون بالهداية والرحمة وكشف الحجاب؛ "ويقال: أن العبد إذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف وباهى الله به مائة ألف ملك. وذلك أن العبد قد جمع في الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود، وقد فرّق الله ذلك على أربعين ألف ملك، فالقائمون لا يركعون إلى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة، وهكذا الراكعون والقاعدون"(٦٢).

ومن هنا نستنتج أن تكريم وتشريف الإنسان عند الغزالي، يكمن في تنوع الأركان التي تفرقت في الملائكة وتجمعت في الصلاة التي يقوم بها الإنسان، كما يظهر شرف التكليف بأن كان في الإنسان بالاختيار أما الملائكة فهي عبادة اضطرار أي بالفطرة. ويبدو أن ابن عربي قد تبنى رأى الغزالي في تلك المسألة، إذ أكد على أن صلاة الإنسان – بالروح والجسد- لها أفضلية على الملائكة من هذه الحيثية بالذات. فقد كانت العبادة -لدى ابن عربي- وسيلة للتحقق بالهدف الذي خُلق الإنسان لأجله، وهو العبودية الخالصة لله "فإذا اطلعت على حقيقتك وجدت نفسك عبداً محضاً عاجزاً ميتاً ضعيفاً عدماً لا وجود لك"(٦٣). فالإنسان إذا اختار أن يكون عبداً لله، فقد آثر الله، فتلك العبودية أوجبت عليه

خدمة سيده(٦٤). ومن هنا يتضح أن الإنسان فيما يرى الغزالي وابن عربي هو المقصود من العالم بالكمال لأن له القدرة على الاختيار، ولهذا كان الإنسان يحقق الغاية المنشودة من الوجود في معرفته بالله. ذلك الفضل الذي يتكشف فيه للإنسان حقائق الغيوب(٦٥)؛ ومن ثم يرقي العبد من الموجود ليتحقق بالمعبود(٦٦).

ومن هنا كانت أهمية الصلاة – عند الغزالي– على وجه التحديد في أنها مناط التشريف والتكريم للإنسان، ولهذا فعلى قدر حضور القلب في الصلاة وعلى قدر صفائه من كدورات الدنيا يتحقق كمالها، "فما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد"(٦٧). فالحق ما خلق الإنسان إلا لعبادته ومعرفته، وقد نوَّعَ لهم سبحانه العبادة فلم يجعلها على وتيرة واحدة حتى لا يملوا، وحتى يكون في تنوعها تزكية لجوانب متعددة، وزوايا مختلفة من الطبيعة البشرية، وحتى تتناسب على تفاوت فيما بينها مع كل الفطر والاستعدادات.

ولهذا يلزم أن نوضح ما تنطوي عليه الصلاة –عند الغزالي– من مضامين روحية وخلقية عبر كل ركن من أركانها، كالأذان والطهارة، وستر العورة، واستقبال القبلة، والاعتدال أو الانتصاب قائماً، والنية، والتكبير، ودعاء الاستفتاح، والركوع، والسجود، والتشهد. وفيما يلي تفصيل ذلك.

وبداية يؤكد الغزالي على أن تحقق العبد بكل ركن من أركان الصلاة يحدده قدر مسارعة العبد للمثول أمام الحق في ذلك الموقف المهيب. فهول النداء لهذه الفريضة مرتبط –لدى الغزالي– بسرعة الإجابة من العبد. كما أن حفظ وقت الصلاة من أهم أركانها، وذلك لقوله سبحانه: (**إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً**)(٦٨). يعنى فرضاً مؤقتاً بوقت معين لا زيغ فيه. فيتعهد العبد وقت

حضور الصلاة، ويكون سمعه مع الأذان، ويكون قلبه متفكراً متعاهداً للوقت[٦٩]. فعلى قدر تمركز الطاعة في القلب والخضوع للحق في تلبية النداء يتحقق العبد بالمسارعة الظاهرية والباطنية للمثول أمام الحضرة الإلهية. وفى ذلك يؤكد الغزالي على ضرورة حضور القلب إذا سمع العبد نداء المؤذن، وذلك بأن يستحضر العبد مضمون هول النداء يوم القيامة، ولهذا يجب على العبد المسارعة، "فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر فاعرض قلبك لهذا النداء، فإن وجدته مملوءاً بالفرح والاستبشار مشحوناً بالرغبة إلى الابتداء فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء"[٧٠].

أ- المضامين الروحية والخلقية لركن الطهارة عند الغزالي:

أول ما يبدأ به العبد للدخول في حضرة الحق هو ركن "الطهارة". ولهذا كان مضمونها الروحي – عند الغزالي- عميقاً حتى إنها تتعدى الأمور المشروعة الظاهرية إلى الحد الذي يؤكد فيه على معنى التطهر والتوبة والاستغفار في كل ركن منها. ولاشك أن تلك المعاني الروحية – عند الغزالي- تنعكس بعد ذلك على كل ركن من أركان الصلاة، فلا يستطيع عبد أن يصلى إلا بطهور. ومن هنا جاءت أهمية الوضوء، والذي يتعدى بدوره طهارة المكان والثياب والجسد- أي عن الحدث والخبث – ليصل إلى مكنون الإنسان الماثل أمام حضرة الحق؛ وذلك أمر محبوب عند الحق بقوله تعالى : (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ)[٧١]. فالطهارة –على حد قول الغزالي- هي الأمانة، وهى الطهارة الباطنة عن الفسق والكبائر والإصرار على الصغائر "فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد ثم في ثيابك وهى غلافك الأقرب، ثم في بشرتك وهى قشرتك الأدنى، فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيراً

بالتوبة والندم على ما فرّطت، وتصميم العزم على الترك في المستقبل، فطهر بها باطنك فإنه موضع نظر معبودك"(٧٢).

لكن عناية الغزالي بالطهارة في جانبها الروحي لم يمنعه من الكلام في الطهارة الظاهرية مستدلاً فيها بأحكام الفقهاء، إيماناً منه بعدم خروجه عما أوجبته الشريعة، فالطهارة الظاهرية تتمثل في الوضوء كفرض ضروري للدخول في الصلاة. فالطهارة لا تنفك بعد ذلك عن كل ركن من أركانها، ومن ثم تنعكس بالتبعية على كل العبادات. فالصلاة من حيث هي تطهر أخلاقي بداية ونهاية، ظاهراً وباطناً؛ فهي تستلزم الطهارة الظاهرية والباطنية، لأنها – الصلاة– صلة وثيقة تربط العبد بربه، وهذه الصلة تنعكس على علاقة العبد بالمجتمع المحيط به. وذلك لأنها لديه: "هي الطهارة باطناً عن الفسق والكبائر والإصرار على الصغائر"(٧٣).

ولهذا كان الغزالي مهتماً بأمر الباطن وشوارده وخواطره أكثر من عنايته بالظاهر، أي بالحياة الروحية أكثر من الحياة المادية، فلا يعنى بالطهارة تطهير الظاهر من النجاسات والأوساخ فقط ، بل يراد به تطهير الباطن من الأخلاق الفاسدة والتي تُبعِد العبد عن الترقي في مدارج الكمال الروحي، والتي تنعكس سلباً على المجتمع المحيط بالإنسان، "فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن أهم الأمور تطهير السرائر، إذ يبعد أن يكون بقوله ﷺ: الطهور نصف الإيمان، عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإبقائه مشحوناً بالأخباث والأقذار"(٧٤).

وظاهر مما تقدم أن الغزالي حريص على أن يتطهر العبد قبل الدخول في صلاته ظاهراً وباطناً، حتى يكون متشبهاً بالملائكة الكرام. فطهارة الظاهر تكون

بتعميم الماء وطهارة الباطن تكون بتعميم التزكية على الظاهر والباطن ليرجع العبد بباطنه إلى حضرة الحق. فتطهير العبد نفسه من النجاسة الباطنية كالحقد والغل والحسد والبخل والكراهية قد تفسد الصلاة - أيضاً- ولا تتحقق الصلاة على الوجه الصحيح إلا بتزكية النفس ليترقى العبد في مراتب الكمال الروحي، وفى ذلك يستشهد بقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)(٧٥). فالعبد مأمور بذلك في الظاهر والباطن. فالنفس المتحققة بالتزكية تقود القلب للصلاح، والنفس الخبيثة بالمعاصي تطفئ نور القلب وتطمس فطرته.

ولاشك أن فساد النفس يفسد القلوب، وهذا ما قد حدده لنا -من قبل- الحكيم الترمذي فالنفس -في رأيه - إذا فرحت بشيء استولت على القلب، فلم ينفذ له شيء، ويصير القلب محجوباً عن الله ﷻ، فلا يتخلص العمل لصاحبه أبداً. ولأن النفس تشارك القلب في العمل، فمن صان قلبه عما تورد النفس عليه، بقى قلبه مع الله عز وجل في جميع الأحوال، ذلك لأنه طاهر من أدناس المعاصي والشهوات التي تملأ النفس(٧٦). فالنفس -كما ذكر الصوفية- إذا وجدت طيب اليقين، وروح قرب الله تعالى، لم تحنّ إلى تلك الشهوات. واليقين لا يكون إلا بطهارة القلب، لأن اليقين طاهر، فيطهر مكانه ومستقره من الشهوات والأغيار، فيصير العبد يبصر بنور قلبه أنوار عرش ربه. ومن هنا يتضح أن أول منازل العبودية يقظة القلب بفضل طهارته التي منحها الله له وجاهد العبد ليحافظ عليها(٧٧). فالمؤمن يطلب أسمى الغايات تنفيذاً لأمره تعالى، لأن الإنسان إذا لم يطلب الكمال بقي في النقص(٧٨). ومن هنا تتأكد لنا حقيقة أن القلب هو الرابطة الروحية بين العبد وربه، والمعرفة هي نور الرحمة الإلهية التي تشرق على قلب السالك المستعد القابل بكل قواه للأشعة النورانية(٧٩). ولعل هذا ما فطن إليه

برجسون -أيضاً- لما أكد أن غاية الحياة الروحية لديه تكمن في الاتصال بالجهد المبدع الخالق الذي يتجلى في الحياة، وهذا الجهد هو شيء من الله إن لم يكن هو الله نفسه على حد قوله(٨٠).

لأجل هذا كله كانت طهارة القلب والنفس للدخول في الصلاة – عند الغزالي- لا يقل في الأهمية عن طهارة الجسد بالوضوء وإفاضة الماء، "وأما عمل القلب، فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة، ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل الممقوتة"(٨١). ولا يصل العبد إلى طهارة القلب عن كل صفة مذمومة ما لم يَعمُر بالخُلق المحمود، فيتطهر عن المناهي ويشرق بالطاعات. وفي ذلك استدل الغزالي بقول الله عز وجل: **(مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)**(٨٢). وهذا يتأكد من قول الطوسي أن: العبد الصادق مع الحق في العبادة هو الذي "يراقب الخواطر المذمومة المشغلة للقلب عن ذكر سيده"(٨٣).

ولهذا السبب أعطى الغزالي للطهارة أهمية قصوى باعتبارها ضرورة قبل الدخول في الصلاة، ومن ثم نراه يجعلها أربع مراتب: الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث والفضلات. والثانية: تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام. والثالثة: تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة. والرابعة: تطهير السر عما سوى الله تعالى، وهى طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم والصديقين، والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها، فإن الغاية القصوى في عمل السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته، ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله تعالى عنه(٨٤). فلكي يحصل العبد على المعرفة الكاملة بالله لابد وأن يبدأ بتطهير باطنه ليتحقق

بالمقصود من العبادة، فإنه الوسيلة لتلقى أنوار الحق. وفى هذا يتفق ابن عربي مع الغزالي؛ فقد ذهب الأول إلى أنه على الإنسان أن يتخلص أولاً من كل صفة مذمومة لا يحبها الله فيه، لكي يخلص قلبه من كل ما لا يحبه الله بوصفه المحبوب، ومن ثم فإن المحبة لا تحصل إلا بعد سلامة القلب عن كدورات النفس. فالعبد لا ينال محبة الله إلا بعد طهارة قلبه وتصفيته من كل ما سوى الله، وذلك بتخليص القلب مما قد يحول بينه وبين المحبوب ليكون خالصاً لله، ولا يكون هذا إلا "باغتسال القلب عن الكدورات النفسية"[٨٥]. فالطهارة هنا طهارة معنوية أي هي طهارة الباطن لأن متعلقها النفس أو القلب، وهى للأخير ألزم ما تكون لينال محبة الله[٨٦]. فالقلب يلزمه التطهير عن الأغيار لأن وجود الأغيار في القلب حجاب عن الوصول إلى الله. ولا غرابة فى أن يلح ابن عربي وغيره من الصوفية على الطهارة بهذه الكيفية، فالمنهج الصوفي إذا نظرنا إليه وجدناه منهجاً تطهرياً يرمى إلى قطع كل العلائق عن العبد وتصفية القلب عما سوى الله، حتى يتسنى له المثول أمام الحضرة الإلهية.

ب- المضامين الروحية والخلقية لركن الاستقبال عند الغزالي:

أكد الغزالي عند تحليله لركن "الاستقبال" على ضرورة انصراف العبد بجسده وقلبه شطر المسجد الحرام. فطهارة الباطن وستره عن العورات القلبية يؤهل العبد ليتجه بظاهره وباطنه للقبلة. وهذا يعنى لديه مبدأ "التحريك"، أي تحريك الظاهر والباطن للعبد تجاه بيت الله الحرام، "فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك"[٨٧]. ولذلك كان العبد الآبق لا ينصرف – في الاستقبال– إلى القبلة إلا بجسده فقط؛ بينما العبد المتحقق بطهارة قلبه، وتزكية نفسه هو الذي يتوجه شطر المسجد الحرام وكأنه في موضع الحج الذي لا يقترن به رفث أو فسوق. ولهذا كان

المقصود باستقبال القبلة - بالظاهر والباطن- هو القلب الذي يتحقق بالخشوع والانكسار للحق سبحانه، فالاستقبال لا يكون إلا بالتفرغ عما سوى الله. ويعني: "صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى الله ﷻ ليس مطلوباً منك هيهات فلا مطلوب سواه، وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالإثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب"(٨٨).

ولاشك أن ركن الاستقبال بما فيه من مضامين روحية لا ينفك بوجه من الوجوه عن تحقق العبد "بركن الاعتدال" والذي يكون بالجوارح والقلب معاً. فالقيام بين يدي الحق يستلزم عند الغزالي: "مثول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل، فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقاً مطأطئاً متنكساً، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهاً على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر"(٨٩). ولهذا ينبغي أن يقوم العبد فيه بين يدي الحق قيام العاجز عن معرفة كنه جلاله، حتى تهدأ وتخشع جوارحه وتسكن جميع أجزائه خيفة قلة الخشوع.

وهكذا يكون الخشوع والخضوع للحق في الصلاة ينبغي أن يكون في كل عبادة يقوم بها العبد، ومن ثم يتحقق استحضار القلب في كل فعل وقول في شتى مناحي حياة الإنسان. فامتثال القلب لله في العبادة يتناسب طردياً مع امتثاله للحق في كل سبل الحياة. كما أن تزكية النفس وإخلاص النية في القول والفعل في شتى مناحي الحياة يؤثر طردياً على إخلاص العبد في القيام بالعبادات. فقد ذكر الغزالي في أصناف المغرورين بعبادتهم، هم من اغتروا بأداء الصلاة ولم يقيموها على الحضور والخشوع. فلم يراقبوا قلوبهم، ولم يطهروا ظواهرهم

وبواطنهم، وهؤلاء "لا يهزون قلوبهم ويغترون بذلك، ولم يعلموا أن حضور القلب في الصلاة هو الواجب، وإنما غرهم إبليس وزين لهم، وقال لهم: هذا الاحتياط تتميزون به عن العوام وأنتم على خير عند ربكم"(٩٠).

ومن هنا جاء التفاوت في درجات الإيمان. ذلك الإيمان الذي يتمايز فيه الناس على حسب تميزهم في الإخلاص والاستقامة والنية الصادقة مع الله؛ ولهذا كان "الإيمان نوعان ظاهر وباطن فالظاهر النطق باللسان والباطن الاعتقاد بالقلب، والمؤمنون متباينون في منازل القرب متفاوتون في درجات الطاعة"(٩١).

ويقف الغزالي عند النية باعتبارها ضرورة في الدخول إلى الصلاة. ولهذا كانت نية العبد تسبق فعله، وتكون على جناحي الخوف والرجاء؛ لأنها تحقق السكينة والرضا تحت مقادير الله، وتحقق الهيبة والخوف من جلال الله. والنية عند الغزالي تمامها في ثلاثة أشياء: "أولها أن تعلم أي صلاة تصلى، والثاني أن تعلم أنك تقوم بين يدي الله تعالى وهو يراك فتقوم بالهيبة، والثالث أن تعلم أنه يعلم ما في قلبك فتفرغ قلبك من أشغال الدنيا"(٩٢). فالنية الصادقة إذن هي العمل لله من غير شريك ولا اشتراك، وموافقة الحق بالاتفاق والوفاق ومخالفة النفس بالصبر، والعمل بالإتباع لا الابتداع، والهمة العلية المجردة عن تسويف يفسد، والمداومة على المراقبة ولا يغيب عن الله سبحانه وتعالى طرفة عين(٩٣).

ولهذا أكد الغزالي أن الطاعات مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفى تضاعيف فضلها. أما الأصل؛ فهو أن ينوى بها عبادة الله تعالى لا غير، فإن نوى الرياء صارت معصية. وأما تضاعيف الفضل: فبكثرة النيات تزداد الحسنات، "فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوى بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب، إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها، كما ورد

في الخبر"[٩٤]. فهذا طريق تكثير النيات، وقس به سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلا وتحمل نيات كثيرة، وإنما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جدّه فى طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه. فبهذا تزكو الأعمال وتتضاعف الحسنات. وحضور النية يحدد روح الصلاة من حيث أن القلب هو الذي يجول ويرتقى إلى حضرة الحق، فإن موقع نظر الله سبحانه هو القلوب دون ظاهر الحركات، ولذلك صرح الغزالي بأن النية هي العزم: "على إجابة الله ﷻ في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها، والكف عن نواقضها ومفسداتها، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربة من الله متقلداً للمنة منه بإذنه"[٩٥].

فالنية– كما يؤكد الغزالي– هي سر الله الذي لا يطلع عليه سواه سبحانه، والعمل ظاهر، وبناء على ذلك فإن عمل السر أفضل على حد قوله. فنية المؤمن من جملة طاعته، والغرض أن للعبد اختياراً في النية وفى العمل، فهما عملان والنية من الجملة خيرهما. فقد لا تدوم نية أعمال الصلاة – عند الغزالي– إلا في لحظات معدودة والأعمال تدوم، فالعمل بلا نية أو على غفلة لا خير فيه أصلاً، والنية بمجردها خير[٩٦]. فالنية – لديه– قد تكون مترجحة على العمل، وسبب ذلك – في رأيه – لا يفهمه إلا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق في الاتصال إلى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح بالإضافة إلى المقصود[٩٧]. فالجوارح خادمة للقلب، والقلب هو المقصود، والأعضاء آلات موصلة إلى المقصود، "فمن هذا الوجه يجب لا محالة أن تكون من أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح. ثم يجب أن تكون النية من جملتها أفضل لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له"[٩٨].

ج- المضامين الروحية والخلقية لركن التكبير عند الغزالي:

يمتد اهتمام الغزالي بالنية لركن "التكبير"؛ ذلك الركن الذي اتفق الغزالي فيه مع الفقهاء في ضرورة استحضار القلب فيه. فالفقه -كما يصرح الغزالي- مادته الأصول ومقصوده معرفة الأحكام الشرعية، وموضع الإجماع فيه ما يستند إلى نص كتاب الله أو حديث متواتر أو إجماع واجب الإتباع وما عداها فهو من مظان الظنون(٩٩). والغزالي في تحليله للمضامين الباطنية التي تحويها الصلاة؛ يؤكد على أن كل ركن من أركانها لا ينفك عن معانيها ومضامينها الباطنة. وفى ذلك يدلل على أن الحقيقة التي تنعكس بها الصلاة على العبد الخاشع المصلى لله لا تنفصل عن نيته وإخلاصه في أفعاله وأقواله، كما تثمر من المعارف والأذواق والمواجيد ما لا يسعه الحصر. هذا لأن العبد الخاشع الذي أخذ بأسباب الاجتهاد في استحضار القلب والخشوع هو الحقيق بإفاضة الحق عليه بالفضل والاصطفاء. وهذا هو ما يجمع عليه الصوفية فقد اتفقوا كما يقول الطوسي مع الفقهاء وأصحاب الحديث في معتقداتهم وقبلوا علومهم، ولم يخالفوهم في معانيهم ورسومهم، إذ ليس من مذهبهم النزول على الرخص وطلب التأويلات والميل إلى الترفه، لأن ذلك تهاونٌ بالدين، وإنما مذهبهم التمسك بالأولى والأتم في أمر الدين؛ ثم إنهم بعد ذلك ارتقوا إلى درجات عالية، وتعلقوا بأحوال شريفة ومنازل رفيعة من أنواع العبادات وحقائق الطاعات والأخلاق الجميلة(١٠٠).

ويفصل الغزالي ذلك الأمر عندما يجعل الصلاة التامة لا تنفك عن استحضار القلب في كل ركن من أركانها ومنها التكبير. فمع تكبير العبد التكبير الصحيح الجازم، ومع رفع العبد يديه حذاء أذنيه يكون قلبه حاضراً، فيكبر مع التعظيم. وعن النبي ﷺ أنه قال: "مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها

التسليم"[١٠١]. وإذا تحقق قلب العبد بالخضوع والإجلال والهيبة والتسليم والتفويض والتوكل على الحق في "ركن التكبير" فإن ذلك يستصحب بالتبعية كافة الأركان. ومن هنا كانت أهمية الخشوع في ذلك الركن –على وجه الخصوص– ذلك لأنه سينعكس بدوره على باقي الأركان. فالتكبير– كما ذكر الغزالي– "إذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك، فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه، فالله يشهد إنك لكاذب وإن كان الكلام صدقاً... فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله ﷻ فأنت أطوع له منك لله تعالى، فقد اتخذته إلهك وكبرته، فيوشك أن يكون قولك: (الله أكبر) كلاماً باللسان المجرّد"[١٠٢].

فالمصلى إذن مناج ربه ﷻ والذكر في الصلاة مع الغفلة ليس بمناجاة. فإذا كان القلب غافلاً، فأي مشقة في تحريك اللسان مع الغفلة، أي مع الحجاب، والعبد في حالة الغفلة يكون غافلاً عن المخاطَب، ولسانه يتحرك بحكم العادة، فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ﷻ ورسوخ عقيد الإيمان به. ويكاد أن يبطل الغزالي الصلاة إذا لم يحضرها القلب، فهو يشترط حضور القلب شرطاً لصحتها، وهو – في رأيي– لا يخالف بذلك إجماع الفقهاء، فهو ينظر للأمر من منطلق روحي وخلقي بحت، فإن لم يكن الحق أكبر في كل ركن من أركان الصلاة فما ثمرة ذلك. أما الفقهاء فإنهم لم يشترطوا حضور القلب إلا عند التكبير فقط وذلك من باب عدم الإثقال على العباد. فالغزالي بوصفه متصوفاً ينظر للصلاة من حيث كمالها ظاهراً وباطناً أو بالأحرى بين الشريعة والحقيقة.

ومع ذلك يؤكد الغزالي أن استحضار العبد لقلبه وروحه في الصلاة بكليتها يعد أمر صعباً وجليلاً ولا يستوي أبداً مع حال التارك للصلاة بالكلية، لذلك يؤكد

على أنه "من عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها... وقصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع"(١٠٣). وإذا كان الغزالي قد أدرك أنه من الصعب على الإنسان أن يكون حاضر القلب في كل صلاة أوفى الصلاة كلها، فإنه يصف العلاج الشافي، بأن يقلل من الأسباب الشاغلة له حال الصلاة، كي لا يلتفت إليها بباطنه وظاهره. فنراه يقول: "وهمة الرجل مع قرة عينه فإن كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة إليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالاً، حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك"(١٠٤).

ولعل ما سبق يظهر أن الغزالي يتفق مع الصوفية حين قرروا أن تفقههم بأحكام الصلاة لا يمنعهم من أن يتوقفون عند حد العلم بشرائطها الظاهرة، وإنما يجتهدون في الوقت نفسه في إقامتها على الوجه الذي يجعلها مقبولة عند الله تعالى، ومن ثم يلتفتون إلى دقائقها الباطنة وبحيث تكون بالقلب لا بالقالب وحده، وهم في هذا الشأن يزيدون عما حدده الفقهاء لما وقفوا عند أحكام الصلاة وشرائطها الظاهرة(١٠٥). وقد فطن الطوسي مبكراً إلى تلك المسألة فكان مقام الصلاة لديه هو مقام الوصلة والدنو والهيبة والخشوع والخشية والمشاهدة والمراقبة والمناجاة مع الله، ولهذا كانت الصلاة عند العامة بخلاف الصلاة عند الخواص. فالعامة لهم أن يقلدوا علماؤهم، ويسألوا فقهائهم، وأما المتصوفة، وأهل الخصوص فقد انحازوا عن جملة الناس بترك المكاسب، وقطع العلائق، وانقطعوا إلى الله ﷻ، وعُرفوا بالله، ونسبوا إلى الله، فلا يسعهم التخلف عن

استعمال الآداب، والاهتمام والتكلف لأحكام الصلاة، وتجويزها، وأحكام فرائضها وسننها وفضائلها ونوافلها وآدابها، لأنهم ليس لهم شغل غير ذلك، ولا ينبغي أن يهمهم أمر أكثر من اهتمامهم بأمر الصلاة[١٠٦].

ولما كانت الصلاة في كل ركن من أركانها لا يكون كمالها إلا باستواء الظاهر والباطن، فقد ذكر الغزالي في أصناف المغرورين بعباداتهم وهم على غير هدى من ربهم، بأن منهم من اغتروا بأداء الصلاة ولم يقيموها على الحضور والخشوع، وهؤلاء "لا يهزون قلوبهم ويغترون بذلك، ولم يعلموا أن حضور القلب في الصلاة هو الواجب، وإنما غرهم إبليس وزين لهم، وقال لهم: هذا الاحتياط تتميزون به عن العوام وأنتم على خير عند ربكم"[١٠٧]. ولم يراقبوا قلوبهم، ولم يطهروا ظواهرهم وبواطنهم. حتى يصلى الشخص منهم في اليوم مثلا ألف ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات، وربما يظن أن العبادة الظاهرة ترجح بها كفة الحسنات[١٠٨]. ولهذا يتعين على العبد إذا ما دخل إلى الصلاة وبدأ بالقيام، فعليه الإلتزم بثلاثة أشياء: أولها أن يجعل البصر في موضع السجود، والثاني أن يجعل القلب إلى الله، والثالث أن لا يلتفت يميناً وشمالاً[١٠٩].

د- المضامين الروحية والخلقية لركن دعاء الاستفتاح عند الغزالي:

أكد الغزالي أن ركن "دعاء الاستفتاح" يحقق إسلام الوجه لله بالقلب والقالب، ويجعل العبد داخلاً في حصن الحق، بل وتصير السكينة والطمأنينة هي النتيجة والمضمون الحقيقي الذي يلازم العبد في كل ركن من أركان الصلاة. وذلك لما يحويه الدعاء من مختصر لمعنى الاستسلام التي يتوجه بها القلب لفاطر

السماوات والأرض، "فوجه القلب هو الذي تتوجه به إلى فاطر السماوات والأرض فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السماوات"(١١٠). ولهذا ينبغي أن يخطر بباله أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده، فإن لم تأمنه الناس في لسانه ويده، فلن يكون متحقق بالمضمون الروحي لهذا الدعاء ومن ثم الصلاة كلها.

هـ- المضامين الروحية والخلقية لركن قراءة القرآن عند الغزالي:

يمضي الغزالي كاشفاً للمضامين الروحية لأركان الصلاة، فيذكر أن المصلى بعد تحققه بحضور قلبه في دعاء الاستفتاح، ينتقل في رفعه إلى ركن "قراءة الفاتحة"؛ فعن النبي ﷺ أنه قال: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"(١١١). وفى ذلك يصرح بأن قراءة القرآن لها معاني روحية لا تتحقق الصلاة بدونها، وهى: "أن تقرأ فاتحة الكتاب قراءة صحيحة بالترتيل بغير لحن، والثاني أن تقرأ بالتفكر وتتعاهد معانيها، والثالث أن تعمل بما تقرأ"(١١٢). ولهذا كان العبد في القراءة يبدأ بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والتي تتضمن الاستعاذة من عدو مترصد لصرف قلب الإنسان عن الحق ﷻ حسداً منه لمن لم يسجد لأبيه -آدم- طاعة لله. فالاستعاذة بالله منه تكون: بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل، ولا يكون ذلك بالقول فقط، ولكن بالعزم على التعوذ بحصن الله ﷻ عن شر الشيطان، وذلك بالابتعاد عن الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن، ولهذا لا يخلو من الإخلاص(١١٣).

ولهذا قسم الغزالي الناس في "قراءة القرآن" إلى ثلاثة أصناف: "رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل، ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهى درجات أصحاب اليمين، ورجل يسبق قلبه إلي المعاني

أولاً ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه. ففرّق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب، والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب"(١١٤).

فتتضمن الفاتحة من التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقاً، ولهذا كان أهم سؤال يسأله العبد لربه هو (اهدنا الصراط المستقيم)، والذي يتضمن تضرع العبد لله طلباً لأن يسوقه الحق إلى جواره في الدنيا والآخرة؛ فإذا ما استقام العبد على الصراط المستقيم في الدنيا –بالبعد عن سبيل الشيطان والتقرب من سبيل الرحمن– فإن العبد يتحقق بالاستقامة في الآخرة على الصراط، بل ويستريح في نهاية المطاف بالترقي في أعلى الجنان، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين عن سبيل الحق؛ ولهذا لابد أن يلتمس الإجابة بقول (آمين). فقول العبد: اهدنا الصراط المستقيم – كما يؤكد الغزالي– يحوى سؤال ودعاء، فهو تنبيه على حاجة الإنسان إلى التضرع والابتهال إلى الله تعالى، وهو روح العبودية، وتنبيه على أن أهم حاجاته الهداية إلى الصراط المستقيم، إذ به السلوك إلى الله تعالى(١١٥).

وهكذا يتضح أن العبد الخالص لله –كما يؤكد الغزالي– هو الذي يكون أقرب إلى التأثر بكلام الحق، بل ويتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره. ولهذا كان التفكر في الصلاة أفضل منه في غير الصلاة لأنهما عملان وهذا هو التفكر والتدبر والفهم لخطاب الحق للعباد بالوعد والوعيد والزجر والأمر تعظيماً للمتوعد وإجلالاً للآمر. ولهذا كان على العبد مهما تمت معرفته أن تكون الخشية أغلب الأحوال على قلبه؛ وذلك لاستغراق قلبه بالكلية في كلام الله. وهذا لاشك يحقق للعبد الترقي في مدارج الكمال الروحي مع كل حرف

يقرأه ويسكن فيه بظاهرة وباطنه. ولهذا كانت صلاة الغافلين بخلاف صلاة الخاشعين؛ وأما "صلاة الغافلين فهي مخطرة إلا أن يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض"(١١٦). فالعبد قد يكون راكعاً وساجداً وهو غافل؛ أي أن قلبه غير مصغ للحق وإنما مصغ لهوى نفسه ومشاهد لباطل قد استولى عليه. ولهذا كان الأصل في الصلاة –على حد تأكيد الغزالي– هو الخشوع وحضور القلب، وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد(١١٧).

و- المضامين الروحية والخلقية لركني الركوع والسجود عند الغزالي:

أكد الغزالي أن المقربين هم المتحققون بالتبري عن الخلق بالكلية واستغراق القلب في الله طواعية واختياراً. والتبرية – عند الغزالي- تكون بأن يتبرأ العبد من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه، فيكون العبد بين الرضا والتزكية. فبحسب مشاهدة أسرار الكلمات وتجلى الصفات الإلهية على مرآة القلب، تنقشع عن نفسه ظلمات الجهل والشقاء، فيتقلب في اختلاف الحالات. وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها، "فتنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عياناً وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها"(١١٨). فأعلم الخلق لمعاني كلامه عز وجل – كما يقول أبو طالب المكي- هو أعرفهم لمعاني الصفات وأعرف العباد بمعاني الأوصاف والأخلاق وغواص الأحكام أعرفهم بسرائر الخطاب ووجهه الحروف ومعاني باطن الكلام، وأحقهم بذلك أخشاهم له أقربهم منه(١١٩). وهذه درجة خصوص العارفين من المحبين والخالصين الذين اطلعوا على السرّ وأوقفوا على الخبر؛ من حيث إن المكاشفة هي حضور القلب بنعت البيان، والمشاهدة وجود الحق مع فقدانك، فصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته، ويقربه علمه، بينما صاحب المشاهدة تمحوه

معرفته[١٢٠].

ويقف الغزالي ليكشف عن كمال الركوع ظاهراً وباطناً كما يتعين أن يحققه المصلى في صلاته. فالركوع والسجود يتجدد بهما استحضار كبرياء الحق وعظمته وهيمنته على الوجود كله بالعظمة والعلو والجلال، والذي يجب أن ينمحي في استحضارها كل أثر لكبر في النفس البشرية، بل وكل أثر لخطيئة ومعصية، بل وتتأكد أواصر علاقة القيوم بالعبد المسكين الذليل تحت جلال كبريائه سبحانه. فالغزالي يؤكد على ضرورة أن "يتجدد عندهما- الركوع والسجود- ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيراً بعفو الله ﷻ من عقابه بتجديد نية ومتبعاً سنة نبيه ﷺ، ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك... ثم ترتفع من ركوعك راجياً أنه راحم لك ومؤكداً للرجاء في نفسك بقوله سمع الله لمن حمده، أي أجاب لمن شكره"[١٢١]. فتمام ركن "الركوع" فيما يراه الغزالي يتحقق بثلاثة أشياء: "أولها أن تبسط ظهرك ولا تنكسه ولا ترفعه، والثاني أن تضع يديك على ركبتيك وتفرج بين أصابعك، والثالث أن تطمئن راكعاً وتسبح التسبيحات مع التعظيم والوقار"[١٢٢]. وفي ذلك استدل بحديث النبي ﷺ: أنه قال لرجل: "ثم اركع حتى تطمئن راكعا..."[١٢٣].

وهكذا تتبين الأهمية القصوى لركن الركوع من حيث دلالته الروحية والخلقية. وقد استكمل الغزالي تحليله مصرحاً بأنه لو لم يكن للعبد من صلاته حظ سوى ذكر الله – في جلاله وعظمته وهيبته- للعبد في قول: (سمع الله لمن حمده)؛ فتلك نعمة عظيمة لا يدرك مضمونها إلا خاصة عباد الله. فهو سبحانه غني عن العالمين، ونحن نرجو رضا رب العالمين، لما فيه من الفضل والثواب،

ولهذا كان يجب ألا يغفل العبد عن أوامر العبد ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه(١٢٤). ولهذا كان حق للعبد أن يحترق قلبه في استحضار عظمة مولاه، واستحضار وعده ووعيده، لأن العبد في حقيقته مذنب ذليل بين يدي مولاه الجبار القهار. ولا تكون تلك المعاني متحققة في القلب إلا في العبد الذي ترقى في درجات الفهم الذي يتخلل معاني الفاتحة حين قراءتها. فتفاوت درجات الفهم تكون"بحسب وفور العلم وصفاء القلب، ودرجات ذلك لا تنحصر"(١٢٥). فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه، فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات، وإلا كانت هذه الأفعال في الصلاة مجرد حركات آلية لا روح فيها ولا قيمة لها.

وينتقل الغزالي إلى بيان ما ينطوي عليه ركن السجود في الصلاة، فالحق سبحانه يحب أن يرى عباده رُكعاً سُجداً، ولهذا كانت عبادة محبوبة للحق من ناحية ومحبوبة لخاصة عباد الله من ناحية أخرى، ولعل الأخيرة تعكس حب العبد لما يحبه الله وما يقربه منه أيضاً. وتمام السجود كما يرى الغزالي في ثلاثة أشياء: "أولها أن ضع يديك بحذاء أذنيك، والثاني أن لا تبسط ذراعيك، والثالث أن تطمئن فيه وتسبح مع التعظيم"(١٢٦). فالطمأنينة بالله هي بساط الحق الذي يرقى فيه الساجد لله. فالسجود يحوى الخضوع والرفعة، يحوى الذل والترقي، أي أنه يحوى كمال العبودية الخالصة لله الواحد. واستدل في ذلك بحديث النبي ﷺ: "أنه قال لرجل... ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً..."(١٢٧). وفى السجود يكون العبد أقرب ما يكون إلى مولاه ولهذا كان على العبد فيه أن يتحقق بالطمأنينة والخضوع بين يدي الله؛ وهذا معنى قوله سبحانه: (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)(١٢٨). وقال عز وجل: (سِيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ)(١٢٩). ويوضح الغزالي معني

الآية الأخيرة فيؤكد على أن ذلك نور الخشوع لأنهم تلتصق وجوههم وقلوبهم بالأرض عند السجود، فنور الخشوع يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح، وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء(١٣٠).

ففي ركن السجود يتحقق قرب من الحق تعالى، ويتحقق الإنسان بتمام العبادة من حيث العبودية الخالصة التي تتناسب مع الامتثال لحضرة الرب سبحانه. ففيه يتحقق الانكسار والذل المطلوب من العبد لله، وفى هذا تطهير للقلب وكمال الخشوع للرب، ولهذا يتكرر مرتين، بل ويتكرر في كل مرة الذكر تأكيداً على ذلك المضمون الروحي. ولهذا يؤكد الغزالي على أنه: "أجلب للخشوع وأدل على الذل. وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله، فإنك من التراب خلقت وإليه تعود، فعند هذا جدّد على قلبك عظمة الله وقل: (سبحان ربى العظيم)، وأكده بالتكرار فإن الكرّة الواحدة ضعيفة الأثر، فإذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله، فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل لا إلى التكبر والبطر"(١٣١).

ومن هنا يتضح تعظيم الغزالي لركن السجود، لما يثمره من أثر خلقي وروحي في نفس العبد. ففي وضع الجبهة على الأرض تأكيد لصفة التواضع في القلب والذي ينعكس على العبد نفسه وعلى المجتمع المحيط به، "فإن من يجد في نفسه تواضعاً، فإذا استكان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد من تواضعه، ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فإذا مسح رأسه وقبله تأكد الرقة في قلبه، ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيداً أصلاً،... وكذلك من يسجد غافلاً وهو مشغول الهم بأعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الأرض أثر إلى

قلبه يتأكد به التواضع، فكان وجود ذلك كعدمه، وما ساوى وجوده عدمه بالإضافة إلى الغرض المطلوب منه يسمى باطلاً"(١٣٢). لذلك فليس غريباً أن يجعل الغزالي همّ القلب الحاضر مع الله هو الله وحده، ومادام مع الله فسيُعَظِم بالتبعية كل خلق الله لأنهم عباده، وبذلك ينصرف العبد إلى فعل الخير لعباد الله ومع كافة خلق الله، لأنه يبتغى الصدق مع الله، ومن ثم فالثمرة الحقيقية التي تنتجها الصلاة من خلال ركن السجود هي التقوى والإخلاص والتواضع، تحقيقاً لقوله تعالى: **(لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُم)**(١٣٣).

ز- المضامين الروحية والخلقية للتشهد عند الغزالي:

يعرج الغزالي بعد ذلك إلى الركن الأخير من أركان الصلاة وهو "التشهد" فيؤكد على تضمنه لمعان روحية وخلقية عميقة؛ فالعبد فيه ما بين جلوس، وسلام، وإخلاص. ويوضح فيه أن تمام الجلوس في ثلاثة أشياء: "أولها أن تقعد على رجلك اليسرى وتنصب اليمنى نصباً، والثاني أن تشهد بالتعظيم وتدعو لنفسك وللمؤمنين، والثالث أن تسلم على التمام"(١٣٤).

ويكشف الغزالي عن المضمون الروحي للجلوس في التشهد فيذكر أنه دليل على وجود الأدب في النفس والجسد والروح، حيث إن هناك آداباً للجلسة. تلك الجلسة التي تشمل تحية للحق سبحانه بتحقق الإخلاص لله الواحد، ولرسوله ﷺ بالتحية والثناء على أخلاقة الطاهرة، بل ويشمل عامة المؤمنين، ويتعدى ذلك ليتحقق التواضع مع كافة المخلوقات. ولهذا كان على العبد إذا جلس في التشهد أن "يجلس متأدباً ويصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات أي من الأخلاق الطاهرة لله. وكذلك الملك لله وهو معنى (التحيات) وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم وقل: (سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)،

وليصدُق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه. ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين، ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاماً وافياً بعدد عباده الصالحين، ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه ﷺ بالرسالة مجدّداً عهد الله سبحانه بإعادة كلمتي الشهادة ومستأنفاً للتحصن بها، ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالإجابة"(١٣٥). ولقد شاء الحق تعالى بحكمته ورحمته – بالعباد – أن تختم الصلاة بالسلام، فيجب أن يكون العبد بعد فراغه من الصلاة في حالة سلام وأمن مع كل العباد؛ ولعل هذا هو كُنه المساواة بين كل المخلوقات. فقد جعل الحق أبعد القلوب عنه القلب القاسي، لأن القاسي هو الذي لا يتحلى بصفة السلام –التي تختم بها الصلاة– سواء مع نفسه أو مع عباد الله.

لهذا فتمام السلام لا يكون إلا بالنية الصادقة من القلب على من كان عن اليمين من الحفظة والرجال والنساء، وكذلك عن اليسار، ولا يتجاوز بالبصر المنكبين. وأما تمام الإخلاص ففي ثلاثة أشياء: أولها أن تطلب بصلاتك رضا الله تعالى ولا تطلب رضا الناس، والثاني أن ترى التوفيق من الله تعالى، والثالث أن تحفظها حتى تذهب بها يوم القيامة لأن الله تعالى قال: **(مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ)**(١٣٦)، ولم يقل من عمل بالحسنة(١٣٧). ولهذا يجب على العبد أن يكون مقصده – فيما يراه الغزالي– عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وسائر المؤمنين. واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة. ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة، وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتاً بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك في وجهك، وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله.

وهكذا يتضح جلياً كيف كان الغزالي حريصاً كل الحرص شأن الصوفية على أن يؤكد على أهمية القيام بالصلاة وتماميتها ظاهراً. إيماناً منه بأن الشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده، ولهذا كانت الحقيقة لديه تأييد لما ورد في ظاهر الشرع. ومن هنا صح تصريح الدكتور أبو العلا عفيفي: في أن الغزالي على وجه التحديد قد أخذ على عاتقه مهمة التوفيق بين التصوف وتعاليم الدين، أو بين الشريعة والحقيقة، وأقام من الدين أساساً للتصوف، فمزج عناصر التصوف مزجاً تاماً بعناصر من القرآن والحديث(١٣٨).

وظاهر مما تقدم أن في الصلاة راحة وسلاماً وهذا كله له أثره الفعال في التوافق الروحي والنفسي للعبد، هذا التوافق الذي ينعكس بدوره إيجاباً في معاملاته مع المجتمع. وذلك يتجلى في شيوع السلام والتقوى والتراحم بين الناس، بدلاً من التشاحن والتباغض، فالعبد الطائع لربه هو الذي يتسع قلبه لخلقه. والتوحيد في مفهومه الأصيل هو أن يتقى الإنسان ربه في كل أعماله ولا يرى سوى الله وحده هدفاً فليس غيره من يخشاه أو إليه يلتجيء أو يستند عليه، فإذا عرف الإنسان مفهوم التوحيد معرفة كاملة دفعة ذلك إلى الصدق والخير والشجاعة فلا يرى غير الله ولا يخاف سواه(١٣٩). فالموحد لله في صلاته هو الذي يراعى الحق في كل ما أمر، وفى كل حد من حدود، وما شرعه من فروض، ولا يهمه إلا استقامة الإنسان ومصلحة المجموع(١٤٠). فالقيم الدينية الكبرى للإسلام وإن كان أهمها التوحيد بإله واحد خالق لهذا العالم، مدبر له يريد بالإنسان الهدى والخير ويرسم له طريق الصلاح؛ إلا أن هذا التوحيد لا ينفك عن القيم العليا التي تؤلف بين القلوب، فالحق سبحانه أمر الإنسان أن يهتم بالقيمة الإنسانية الكبرى وهى كرامة الإنسان ومساواته وحريته، فلا فضل لحاكم على

محكوم إلا بالعمل الصالح(١٤١).

ولا شك أن حياة الإنسان في شتى مظاهر سلوكه خاضعة للقيم التي يعتنقها، فإذا آثر شهوات البدن، انصرف عن المتع الروحية، التي هي صلب حياة الإنسان بما هو إنسان. ولهذا كان الغزالي حريصاً في تحليله للمضامين الروحية والخلقية للصلاة بما تنعكس به صلاة المسلم الخاشع من ثمار على المجتمع المحيط به. فإذا ارتفعنا بالصلاة إلى هذه المرتبة، وسمونا بقيمتها إلى هذه المنزلة، كانت جديرة حقاً بما تدعو إليه من القيم الروحية الصحيحة، من التوحيد بين أفراد المجتمع. ويتجلى لنا ذلك من خلال دعاء المصلى – في حضور قلبه ونيته- بالسلام في نهاية الصلاة على كل من يحيط به.

وبذلك يتضح أن الغزالي قد اتخذ من نفسه مرشداً لغيره من الصفوة والعامة، إيماناً منه الأذواق الروحية هي الكفيلة بإخراج الناس من الزيغ والضلالة. وفى ذلك أتفق بالرأي مع الدكتور: محمد مصطفى حلمي والذي قرر: أن الغزالي لم يقف عند حد نفسه يصفيها وينقيها، ويبصرها وينورها، ويحقق لها ما كانت تصبو إليه من غايات الحق والكمال، وآيات الخير والجمال، وإنما هو قد تجاوز نفسه إلى نفوس غيره من المسلمين، يدعوهم إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله، والإقبال على طريق الحق الموصل إلى المعرفة التي لا شبهه فيها، حيث السعادة القصوى والبهجة العظمى(١٤٢). فالعبد المتحقق بصفة العبودية الخالصة لله هو الذي يعمل في طاعة الخالق وتنعكس طاعته فيما يقوم به من معاملات. ومعنى ذلك أن يرى الناس قاطبة خيراً منه، وأن يعتقد أن عليه أن يخدم الناس على السواء. إذ لن يستطيع أن يخدم الله إلا بأن يتخلى عن جميع مآربه الذاتية، فلا يعبد الله ابتغاء شيء(١٤٣). ولذلك لا يرى تعارضاً بين حياته

التعبدية وحياة المجتمع الذي يعيش فيه، بل هو الذي يستعين بحياة التعبد على حياة المجتمع[١٤٤]. ولهذا كان التصوف لدى الغزالي وغيره من رجالات التصوف فلسفة إيجابية، يحوى روح الإسلام في جمعه بين العمل الدنيوي والعمل الأخروي.

وهكذا كان تحليل الغزالي لمضامين الصلاة موافقا لما ينبغي أن تكون عليه كما جاءت في الأصول الإسلامية قرآناً وسنة، حيث إن الدين اسم يشتمل على جميع الأحكام ظاهراً وباطناً. فالحق سبحانه ما يجازى به الإنسان في آخرته من الجزاء الحسن هو ثمن ما يقدمه العبد في دنياه من فعل صالح وعمل مفيد منتج لنفسه ولأسرته ولبنى وطنه، فالله تعالى يقول : (وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى)[١٤٥]. فالإسلام لم يربط الجزاء والعقاب في الآخرة إلا بما في أخلاق الإنسان وأفعاله وعبادته، وكذلك ما في نفسيته من خير أو شر، ولهذا كانت الصلاة – عنده– هي التطهير الحقيقي لباطن الإنسان، ذلك الباطن الذي هو محل سعادته ومحل شقائه.

* * *

خاتمة الدراسة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها ما يلي:

١- أن الصلاة كعبادة من العبادات الشرعية يحرص الصوفية على أدائها كغيرها من العبادات، من حيث كمال الجوارح الظاهرة في كل ركن فيها مع الجوارح الباطنة. ولذلك ففقه الجوارح مقدم على فقه الباطن، والأخير بالتالي لا غنى عنه في كمال الصلاة وغيرها. ولذلك جاءت الشريعة كضرورة للوصول إلى الحقيقة.

٢- أن الغزالي في تحليله للمضامين الروحية والخلقية التي تضمنتها أركان الصلاة لم يخرج عما أقرته الشريعة، حيث إن تلك المضامين تجعل العبد مستعداً بوعاء قلبه القائم على الشريعة أن يتحقق بأعمال القلوب التي هي مناط تشريفه وتكليفه. كما أن تنوع أركان الصلاة عنده إنما جاء لتزكية جوانب متعددة للنفس البشرية.

٣ - أن المضامين الروحية والخلقية التي تتضمنها أركان الصلاة -كما أوضح الغزالي- لا تنفك عن تطهر الإنسان نفسياً وقلبياً، فيتجلى الحق عليه بالأخلاق الإلهية والمعارف الربانية. تلك المعارف التي تتفاوت درجاتها على حسب التحقق بالمضمون الروحي والخلقي للصلاة عبر كل أركانها.

٤- أن الغزالي أقر بأن العبادات لا تنفك عن المعاملات، ولهذا جعل الحق للعبد في قلبه بابين باب إلى الخلق وباب إلى الحق فلا يستقيم العبد مع الخلق إلا إذا استقام في عبادته مع ربه. وذلك بعد أن طبق الغزالي ما فهمه من علم

بأحكام الفقه وما يتناسب مع روح العقيدة من معاني روحية وخلقية سامية تشبع روح الصوفي الكامنة داخل الغزالي.

٥- أن قضية الغزالي الكبرى هي الإخلاص، حيث إن العبادة المتجردة من الإخلاص عبادة تفتقد إلى الأثر الفعال الذي ينعكس بدوره على أخلاقيات المجتمع وأفراده.

٦- أن استقامة القلب في الصلاة هي السبيل الحقيقي لاستقامة حياة الإنسان في الدنيا وكذلك هي المحدد لنجاته في الآخرة.

٧- أن التحقق بالمفهوم الذوقي للصلاة يحقق المعرفة الحقيقية التي يبحث عنها الإنسان من حيث كونه إنساناً؛ أي من حيث إن له وظيفة وجودية هي قيامه بدوره كحلقة وصل حقيقية – بروحه وجسده أو بظاهره وباطنه- بين الحق وبين غيره من المخلوقات. وهذا يدعم لنا حقيقة كُنه الإنسان بما هو إنسان، تلك الدرجة التي لا ينالها إلا إذا تحقق الإنسان بوظيفته المعرفية.

* * *

الحواشي:

---

(١) سورة: الإسراء: آية (٧٠).
(٢) سورة: الذاريات: آية (٥٦).
(٣) سورة: الأنعام: آية (١٦٢).
(٤) " ابن قيم الجوزية " شمس الدين محمد: الفوائد، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ، ص٢٣.
(٥) سورة: المائدة: آية (٥٥).
(٦) سورة: الأنفال: آية (٣).
(٧) " الهجويري" أبو الحسن الجلابي: كشف المحجوب، الجزء الثاني، تحقيق الدكتورة إسعاد قنديل، مراجعة الدكتور يحيى الخشاب، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٥٤٢.
(٨) سورة: النساء: آية (١٠٣).
(٩) سورة: البقرة: آية (٣).
(١٠) سورة: البقرة: آية (١٧٧).
(١١) سورة: النساء: آية (١٠٣).
(١٢) " محمود "عبد الحليم: العبادة أحكام وأسرار، الطبعة الثانية، كتاب الشعب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٩٧.
(١٣) سورة: البقرة: آية (٤٥).
(١٤) " التفتازاني " أبو الوفا: مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١٥.
(١٥) سورة: الأنعام: آية (١٢٠).
(١٦) " السهروردي" شهاب الدين: عوارف المعارف، جـ١، تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود ابن الشريف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٣٧.
(١٧) " الرفاعي" الإمام أحمد: حالة أهل الحقيقة مع الله، تحقيق صلاح عزام، دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٦٠.
(١٨) " الغزالي" أبو حامد: المنقذ من الضلال، تعليق محمد جابر، مكتبة الجندي، القاهرة،بدون تاريخ، ص ٤٩.
(١٩) الغزالي: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مكتبة المشكاة الإسلامية، ب.ت، ص٥.
(٢٠) الغزالي: مشكاة الأنوار، حققه أبو العلا عفيفي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٥٠.
(٢١) الغزالي: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة المحبوب، دار المنار، القاهرة،١٩٩٨م، ص ٦١.
(٢٢) سورة: المؤمنون، الآية(٢).

(٢٣) الغزالي: قواعد العقائد، إعداد رءوف شلبي، وموسى محمد على، وتقديم الدكتور عبد الحليم محمود، دار النصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٤١.
(٢٤) الغزالي: جواهر القرآن، تحقيق الدكتور محمد رشيد رضا، دار إحياء العلوم، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م،ص ٥٦.
(٢٥) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، قدم له الدكتور عامر النجار، تحقيق محمد عبد الملك الزغبي، دار المنار، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٩٧م، ص ٢٩٠.
(٢٦) "البخاري" الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي: صحيح البخاري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، الجزء الرابع، ١٩٣٦م، ص ٩٢.
(٢٧) الغزالي: المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، مطبعة حجازي، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٣٢.
(٢٨) الغزالي: ميزان العمل، حققه وقدم له الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٤م، ص١٩١.
(٢٩) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، ص ٢٩١، ٢٩٢.
(٣٠) الغزالي: المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، ص ٢١.
(٣١) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، تحقيق محمد بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٤٩.
(٣٢) "ابن سينا" أبو على: رسالة أضحوية في المعاد، ضبطها وحققها، الدكتور سليمان دنيا، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ٦٦:٦٤ الهامش.
(٣٣) ابن سينا: العلم اللدني، ضمن كتاب الدكتور حسن عاصي: التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص ٢٠١.
(٣٤) الغزالي: المنقذ من الضلال، ص ١٢٢، الهامش.
(٣٥) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، ص ٢٩٠.
(٣٦) الغزالي: قواعد العقائد، ص ٤٠.
(٣٧) سورة: الحج، الآية (١١).
(٣٨) الغزالي: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة المحبوب، ص ٨٠.
(٣٩) الغزالي: المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، ص٢٢، ٢٣.
(٤٠) "ابن حنبل" أبو عبد الله أحمد بن محمد: كتاب الصلاة وما يلزم فيها، ويليه كتاب الصلاة وأحكام تاركها للعلامة شيخ الإسلام شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية، الطبعة الثانية، مكتبة محمد على صبيح بالأزهر، مصر، ١٣٥٦هـ، ص ١٢٨.
(٤١) الغزالي: المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، ص ٢٣.
(٤٢) سورة: المدثر، الآية (٤٢: ٤٥).
(٤٣) سورة: الماعون، الآية (٤: ٥).

(٤٤) الغزالي: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة المحبوب، ص ١٥٥.
(٤٥) "الطوسي" أبو نصر السراج: اللمع، حققه وقدم له وخرج أحاديثه الدكتور عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة ومكتبة المثنى ببغداد، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م، ص ٢٠٩.
(٤٦) ابن قيم الجوزية: الروح، تحقيق حامد أحمد الطاهر، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م، ص٨٤.
(٤٧) "الكلاباذي" أبو بكر محمد بن إسحق: التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص ٦٥.
(٤٨) "حسن" كامل محمد: رسالة في الصلاة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد السابع، السنة الأولى، وزارة الأوقاف، ١٣٨١هـ، ١٩٦١م، ص ١١.
(٤٩) "ابن حنبل" أبو عبد الله أحمد بن محمد: كتاب الصلاة وما يلزم فيها، ص ٨.
(٥٠) "ابن قَيِّم الجَوزِيَّة" أَبو عَبد الله: كتاب أسرار الصَّلاة والفَرق والموازنَة بين ذَوق الصَّلاة و السَّماع، اعتنى به أبو عبد الله همَّام الجزائري، ٢٠٠٤م، ص٨.
(٥١) "السكندري" ابن عطاء الله: التنوير في إسقاط التدبير، تحقيق وتعليق موسى محمد علي وعبد العال أحمد العرابي، دار التراث العربي للطباعة والنشر، ١٩٧٣م،٢٦.
(٥٢) "السكندري" ابن عطاء الله: المصدر السابق، ص١١٧.
(٥٣) "علي" سيد أمير: روح الإسلام،الجزء الثاني، ترجمة أمين محمود الشريف، راجعه الدكتور محمد مصطفى زيادة، الإدارة العامة للثقافة، مكتبة الآداب ومطبعتها النموذجية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٣٧.
(٥٤) الغزالي: كيمياء السعادة، ضمن كتاب المنقذ من الضلال، تعليق محمد محمد جابر، ص ٧٦.
(٥٥) الغزالي: المصدر السابق، ص ٧٧.
(٥٦) المصدر السابق، ص ٨١.
(٥٧) "الذماري" الإمام يحيى بن حمزة اليماني: تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، اعتنى به وخرج أحاديثه عمرو سيد شوكت، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م، ص ٤٦.
(٥٨) الغزالي: الأدب في الدين، ضمن كتاب المنقذ من الضلال، ص ١٢١.
(٥٩) الغزالي: المنخول في تعليقات الأصول، تحقيق محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ، ص ١٠.
(٦٠) الغزالي: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة المحبوب، ص ١٩٠.
(٦١) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، ص ٢٩٠.
(٦٢) الغزالي: المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٩١.
(٦٣) ابن عربي: الفتوحات المكية، جـ١، دار صادر، بيروت، ب. ت، ص ٢٣٦.
(٦٤) ابن عربي: المصدر السابق، جـ٣، ص٦٤. وأنظر أيضاً: ابن عربي: تفسير سورة الفاتحة،

مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم الحفظ (٦٣٣)، مجاميع طلعت عربي، عدد الأوراق (٣٥٨).

(٦٥) Ed. Rosen (M), Yudin(P.); A dictionary of Philosophy , Progress Publishers, Moscow,1967,p. 302.

(٦٦) Aqadir (c.); Philosophy and Science in Islamic World, Maekavs of Chatham PLC, Great Britain, 1991,p.55.

(٦٧) الغزالي: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة المحبوب، ص ١٥١.

(٦٨) سورة: النساء، الآية(١٠٣).

(٦٩) الغزالي: المصدر السابق، ص ١٩١.

(٧٠) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، ص ٢٨٣.

(٧١) سورة: التوبة: آية (١٠٨).

(٧٢) الغزالي: المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٨٤.

(٧٣) المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٩٧.

(٧٤) المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٢٣.

(٧٥) سورة: الأعراف: آية (٣٣).

(٧٦) "الترمذي" أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن الحكيم: كتاب الرياضة وأدب النفس، عنى بإخراجه الدكتور ا. ج. أربري والدكتور على حسن عبد القادر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٧م، ص ٧١.

(٧٧) "السهروردي" شهاب الدين: عوارف المعارف، تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، الجزء الأول، ص ١٠٨.

(٧٨) "حلمي" مصطفى: الأخلاق بين الفلاسفة وحكماء الإسلام، دار الكتب، القاهرة، ١٩٨٦م، ٢٢٨.

(٧٩) "غنى" قاسم: تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمه عن الفارسية صادق نشأت، راجعه أحمد ناجى القيسي، الجزء الثاني، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٢م، ص ٥٨٩.

(٨٠) "برجسون" هنري: منبعا الأخلاق والدين، ترجمة سامي الدروبي، الهيئة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٢٣٦.

(٨١) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٨٢) سورة: الأحزاب: آية (٤).

(٨٣) الطوسي: اللمع، ص ٨٢.

(٨٤) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، ص ٢٢٣.

(٨٥) ابن عربي: أسرار الوضوء، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم (٣٢٠) مجاميع، ورقة ٢١.

(٨٦) ابن عربي: الفتوحات المكية، جـ١، ص ٣٣٠.

(٨٧) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، ص ٢٨٤.

(٨٨) الغزالي: المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٨٤.
(٨٩) المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٨٤.
(٩٠) الغزالي: أصناف المغرورين، دراسة وتحقيق وتعليق عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٧.
(٩١) الغزالي: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة المحبوب، ص ٨٠.
(٩٢) الغزالي: المصدر السابق، ص١٩١.
(٩٣) الغزالي: القواعد العشرة، ضمن كتاب المنقذ من الضلال، تعليق محمد محمد جابر، ص ٩٩: ١٠٥.
(٩٤) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الرابع، ص ٥٣٤.
(٩٥) الغزالي: المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٨٥.
(٩٦) المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٥٢٩.
(٩٧) المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٥٢٩.
(٩٨) المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٥٣٠.
(٩٩) الغزالي: المنخول في تعليقات الأصول، تحقيق محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ، ص١ ،٢. وانظر أيضاً: الغزالي: الوجيز في فقه الإمام الشافعي، الجزء الأول، تحقيق على معوض، وعادل عبد الموجود، دار الأرقم بن أبى الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م. والفقه -كما يرى الإمام الغزالي- عبارة عن العلم والفهم في أصل الوضع، ويقال فلان يفقه الخير والشر أي يعلمه ويفهمه، ولكن صار بعرف العلماء عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين خاصة، فهو يختص بالعلماء بالأحكام الشرعية الثابتة للأفعال الإنسانية كالوجوب والحظر والإباحة والندب والكراهة وكون العقد صحيحاً وفاسداً وباطلاً وكون العبادة قضاء وأداء وأمثاله. انظر: الغزالي: المستصفى في علم الأصول، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ، ص ٣.
(١٠٠) الطوسي: اللُّمع، ص ٢٨.
(١٠١) أبو داود: سنن أبى داود، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٩م، حديث رقم٦١. وانظر أيضاً: الترمذي: جامع الترمذي، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٩م، حديث رقم٢٣٨.
(١٠٢) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، ص ٢٨٥.
(١٠٣) الغزالي: المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٧٧.
(١٠٤) المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٨٥.
(١٠٥) "الجزار" أحمد محمود: قضايا وشخصيات صوفية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠١م، ص٩.
(١٠٦) الطوسي: اللُّمع، ص ٢٠٣.

(١٠٧) الغزالي: أصناف المغرورين، ص ١٧.
(١٠٨) الغزالي: المصدر السابق، ص ٢٣.
(١٠٩) الغزالي: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة المحبوب، ص ١٩١.
(١١٠) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، ص ٢٨٦.
(١١١) البخاري: صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٨م، حديث رقم ٧٥٦. وانظر أيضاً: مسلم: صحيح مسلم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٨م، حديث رقم ٣٩٤. وانظر كذلك: الترمذي: جامع الترمذي، حديث رقم ٢٤٧.
(١١٢) الغزالي: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة المحبوب، ص ١٩١.
(١١٣) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، ص ٢٨٦.
(١١٤) الغزالي: المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٨٦.
(١١٥) الغزالي: جواهر القرآن، ص ٦٩، ٧٠.
(١١٦) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، ص ٢٩٠.
(١١٧) الغزالي: المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٩٤.
(١١٨) المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٤٧٢، ٤٧٣.
(١١٩) "المكي" أبو طالب: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، ضبطه وصححه باسل سود العيون، جـ ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص ٩٤.
(١٢٠) "القشيري" عبد الكريم: الرسالة القشيرية، تحقيق معروف زريق، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٧٥.
(١٢١) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، ص ٢٨٩.
(١٢٢) الغزالي: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة المحبوب، ص ١٩١.
(١٢٣) البخاري: صحيح البخاري، حديث رقم ٧٥٧. وانظر أيضاً: مسلم: صحيح مسلم، حديث رقم ٣٩٧.
(١٢٤) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، ص ٢٨٧.
(١٢٥) الغزالي: المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٨٨.
(١٢٦) الغزالي: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة المحبوب، ص ١٩١.
(١٢٧) البخاري: صحيح البخاري، حديث رقم ٧٥٧. وانظر أيضاً: مسلم: صحيح مسلم، حديث رقم ٣٩٧.
(١٢٨) سورة: العلق، الآية (١٩).
(١٢٩) سورة: الفتح، الآية (٢٩).
(١٣٠) الغزالي: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة المحبوب، ص ١٥٢.

(١٣١) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، ص ٢٨٠.
(١٣٢) الغزالي: المصدر السابق، المجلد الرابع، ص ٥٣١.
(١٣٣) سورة: الحج: آية (٣٧).
(١٣٤) الغزالي: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة المحبوب، ص ١٩١.
(١٣٥) الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الأول، ص ٢٨٩.
(١٣٦) سورة: الأنعام، الآية (١٦٠).
(١٣٧) الغزالي: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة المحبوب، ص ١٩١: ١٩٢.
(١٣٨) "عفيفي" أبو العلا: التصوف والثورة الروحية في الإسلام، الطبعة الأولى، دار المعارف، ١٩٦٣م، ص١٢٠.
(١٣٩) "الجندي" أنور: منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، القاهرة، ١٣٩٤هـ، ص ١٤.
(١٤٠) "العماوي" محمد عبد القادر: هذا هو الإسلام، دار الفكر الحديث للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٢٩.
(١٤١) "الأهواني" أحمد فؤاد: القيم الروحية في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، بدون تاريخ، ص٣٩.
(١٤٢) "حلمي" محمد مصطفى: حديث العقل والقلب، بحث منشور ضمن مجلة الإسلام والتصوف، العدد الأول، السنة الثانية، دار القاهرة للطباعة، ١٣٧٨هـ، ص ١٩.
(١٤٣) "نيكلسون" ر. أ: الصوفية في الإسلام، ترجمه وعلق عليه نور الدين شريبه، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٤٣.
(١٤٤) "التفتازاني" أبو الوفا الغنيمي: الإنسان والكون في الإسلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٨٩.
(١٤٥) سورة: النجم: آية (٣٩، ٤٠، ٤١).

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: قائمة المصادر:

١- "البخاري" الإمام محمد بن إسماعيل الجعفي: صحيح البخاري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، الجزء الرابع، ١٩٣٦م.

٢- "البخاري" الإمام محمد بن إسماعيل الجعفي: صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٨م.

٣- "الترمذي" أبو عبد الله الحكيم: كتاب الرياضة وأدب النفس، عنى بإخراجه الدكتور ا. ج. أربري والدكتور على حسن عبد القادر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٧م.

٤- "الترمذي" أبو عيسى محمد: جامع الترمذي، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٩م.

٥- "ابن حنبل" أبو عبد الله أحمد بن محمد: كتاب الصلاة وما يلزم فيها، ويليه كتاب الصلاة وأحكام تاركها للعلامة شيخ الإسلام شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية، الطبعة الثانية، مكتبة محمد على صبيح بالأزهر، القاهرة، ١٣٥٦هـ.

٦- أبو داود: سنن أبى داود، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٩م.

٧- "الذماري" الإمام يحيى بن حمزة اليماني: تصفية القلوب من درن

الأوزار والذنوب، اعتنى به وخرج أحاديثه عمرو سيد شوكت، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

٨- "الرفاعي" الإمام أحمد: حالة أهل الحقيقة مع الله، تحقيق صلاح عزام، دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ.

٩- "السهروردي" شهاب الدين: عوارف المعارف، تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف،الجزء الأول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.

١٠- "ابن سينا" أبو على: رسالة أضحوية في المعاد، ضبطها وحققها، ا.د. سليمان دنيا، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٩م.

١١- "ابن سينا" أبو علي: العلم اللدني، ضمن كتاب الدكتور حسن عاصي: التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

١٢- "الطوسي" أبو نصر السراج: اللُّمع، حققه وقدم له وخرج أحاديثه الدكتور عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة ومكتبة المثنى، بغداد، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م.

١٣- "ابن عربي" محيي الدين: أسرار الوضوء، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم (٣٢٠) مجاميع.

١٤- "ابن عربي" محيي الدين: تفسير سورة الفاتحة، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم الحفظ (٦٣٣)، مجاميع طلعت عربي، عدد الأوراق (٣٥٨).

١٥- "ابن عربي" محيي الدين: الفتوحات المكية، المجلد الأول والثالث، دار

صادر، بيروت، بدون تاريخ.

١٦- "ابن عطاء الله السكندري" تاج الدين أحمد: التنوير في إسقاط التدبير، تحقيق وتعليق موسى محمد على وعبد العال أحمد العرابي، دار التراث العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣م.

١٧- "الغزالي" أبو حامد: إحياء علوم الدين، المجلد الأول والرابع، قدم له الدكتور عامر النجار، تحقيق محمد عبد الملك الزغبي، دار المنار، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٩٧م.

١٨- "الغزالي" أبو حامد: أصناف المغرورين، دراسة وتحقيق عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

١٩- "الغزالي" أبو حامد: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مكتبة المشكاة الإسلامية، بدون تاريخ.

٢٠- "الغزالي" أبو حامد: جواهر القرآن، تحقيق الدكتور محمد رشيد رضا، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢١- "الغزالي" أبو حامد: قواعد العقائد، إعداد رءوف شلبي، وموسى محمد علي، وتقديم الدكتور عبد الحليم محمود، دار النصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٢- "الغزالي" أبو حامد: المستصفى في علم الأصول، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٣هـ.

٢٣- "الغزالي" أبو حامد: مشكاة الأنوار، حققه أبو العلا عفيفي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.

٢٤- "الغزالي" أبو حامد: المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، مطبعة حجازي، القاهرة، بدون تاريخ.
٢٥- "الغزالي" أبو حامد: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة المحبوب، دار المنار، القاهرة، ١٩٩٨م.
٢٦- "الغزالي" أبو حامد: المنخول في تعليقات الأصول، تحقيق محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ.
٢٧- "الغزالي" أبو حامد: المنقذ من الضلال، تعليق محمد محمد جابر، مكتبة الجندي، القاهرة، بدون تاريخ. ويحتوى الكتاب بداخله على كيمياء السعادة، والقواعد العشرة، والأدب في الدين.
٢٨- "الغزالي" أبو حامد: ميزان العمل، حققه وقدم له الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف،القاهرة، ١٩٦٤م.
٢٩- "الغزالي" أبو حامد: الوجيز في فقه الإمام الشافعي، الجزء الأول، تحقيق على معوض، وعادل عبد الموجود، دار الأرقم بن أبى الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٣٠- "القشيري" عبد الكريم: الرسالة القشيرية، تحقيق معروف زريق، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠١م.
٣١- "ابن قيم الجوزية" شمس الدين محمد: الروح، تحقيق حامد أحمد الطاهر، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.
٣٢- "ابن قيم الجوزية" شمس الدين محمد: الفوائد، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ.
٣٣- "ابن قيم الجوزية" شمس الدين محمد: كتاب أسرار الصَّلاة والفَرق

والموازنَة بين ذَوق الصَّلاة و السَّماع، اعتنى به أبو عبد الله همَّام الجزائري، ٢٠٠٤م.

٣٤- "ابن قيم الجوزية" شمس الدين: مفتاح دار السعادة، تحقيق محمد بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٣٥- "الكلاباذي" أبو بكر محمد بن إسحق: التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

٣٦- مسلم: صحيح مسلم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٨م.

٣٧- "المكي" أبو طالب: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، ضبطه وصححه باسل سود العيون، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٣٨- "الهجويري" أبو الحسن الجلابي: كشف المحجوب، الجزء الثاني، تحقيق الدكتورة إسعاد قنديل، مراجعة الدكتور يحيى الخشاب، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٥م.

ثانياً: قائمة المراجع:

١- "الأهواني" أحمد فؤاد: القيم الروحية في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، بدون تاريخ.

٢- "برجسون" هنري: منبعا الأخلاق والدين، ترجمة سامي الدروبي، الهيئة

المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.

٣- "التفتازاني" أبو الوفا الغنيمي: الإنسان والكون في الإسلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥م.

٤- "التفتازاني" أبو الوفا الغنيمي: مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦م.

٥- "الجزار" أحمد محمود: قضايا وشخصيات صوفية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠١م.

٦- "الجندي" أنور: منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، القاهرة،١٣٩٤هـ.

٧- "حسن" كامل محمد: رسالة في الصلاة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد السابع، السنة الأولى، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٣٨١هـ، ١٩٦١م.

٨- "حلمي" محمد مصطفى: الأخلاق بين الفلاسفة وحكماء الإسلام، دار الكتب، القاهرة، ١٩٨٦م.

٩- "حلمي" محمد مصطفى: حديث العقل والقلب، بحث منشور ضمن مجلة الإسلام والتصوف، العدد الأول، السنة الثانية، دار القاهرة للطباعة، ١٣٧٨هـ.

١٠- "عفيفي" أبو العلا: التصوف والثورة الروحية في الإسلام، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.

١١- "علي" سيد أمير: روح الإسلام، الجزء الثاني، ترجمة أمين محمود الشريف، راجعه الدكتور محمد مصطفى زيادة، الإدارة العامة للثقافة،

مكتبة الآداب ومطبعتها النموذجية، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٢- "العماوي" محمد عبد القادر: هذا هو الإسلام، دار الفكر الحديث للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

١٣- "غني" قاسم: تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمه عن الفارسية صادق نشأت، راجعه أحمد ناجى القيسي، الجزء الثاني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٢م.

١٤- "محمود" عبد الحليم: العبادة أحكام وأسرار، الطبعة الثانية، كتاب الشعب، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٥- "نيكلسون" ر. أ: الصوفية في الإسلام، ترجمه وعلق عليه نور الدين شريبه، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٢م.

ثالثاً: قائمة المراجع الأجنبية:

1- Ed. Rosen (M), Yudin(P.); A dictionary of Philosophy , Progress Publishers, Moscow,1967.

2- Aqadir (c.); Philosophy and Science in Islamic World, Maekavs of Chatham PLC, Great Britain, 1991.

* * *